منهج نزع الأسطورية

"تأويل أرسطو لبعض الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين"

شرف الدين عبد الحميد أمين

مدرس الفلسفة اليونانية، كلية الآداب، جامعة سوهاج

sharafameen@yahoo.com

المقدمة

لقد أوَّل "**أرسطو** Ἀριστοτέλης ٣٨٤-٣٢٢ ق.م"- وهو من أقدم المصادر المعروفة لتأريخ الفلسفة اليونانية- نصوصَ الفلاسفةِ السابقين على السوفسطائيين، في كتبه: "**الميتافيزيقا**- μέτα τα φυσικά "، " **الطبيعة** - τά φυσικα" و"**الكون والفساد**- περι γένσεως και φθορᾶς "، وغيرها من الكتب، تأويلاً عقلياً خالصًا، بعد أن استبعد منها كل التأويلات الأسطورية والدينية. ويمكن أن نطلق على منهج أرسطو هذا "**منهج نزع الأسطورية**"(**Demythologizing**). وأعني به فصلَ أرسطو للرسالة الفلسفية- عن الميثولوجيا والثيولوجيا- من نصوص بعض الفلاسفة السابقين علي السوفسطائيين[١]. وقد تابع معظمُ الباحثين والشراح ذلك التأويل الأرسطي لهؤلاء الفلاسفة، منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وربما حتى الآن (لأن نفوذ أرسطو قد أوشك أن يبلغ ما للكنيسة من سلطان لا يقبل الجدل كما يقول **برتراند رسل!**).

بذلك يكون أرسطو، بهذا **المنهج في التأويل**، هو **مؤسس** الهمرمنيوطيقا (فنُّ الفهم، ومنهجُ تأويلِ النصوص)، **ليس في كتابه "بيري هرمنياس** -περι ἑρμηνείας" **فحسب، بل في تأويله للسابقين عليه، الذي اتخذ مظهره شكل التأريخ، في حين أن جوهره يكمن في التأويل.** كما أن معرفتنا بقواعد منهجه التأويلي يمكن أن يقلل من الآثار الناتجة عن إضفاء "**معقولية**"، ناتجة عن تأويل مذاهب هؤلاء الفلاسفة، بنزع "الأسطورية" عنهم، وقد تكون- هذه الأسطورية- أحد الأسس المهمة في تكوين فلسفاتهم، وفهمها على ماهى عليه، دون تأويلٍ أو تقوُّلٍ على النصوص.

---

[١] **وكنت قد لاحظت هذا المنهج الأرسطي أثناء بحث لي بعنوان: " كسمولوجيا العناصر عند إمبادوكليس".**

إشكالية البحث

تكمن إشكالية البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما مفهوم الهرمنيوطيقا وما مدى إسهام أرسطو في تاريخها؟
- ما المنهج الذي اتبعه أرسطو لتخليص النصوص الفلسفية من الأساطير؟ وما هى أبرز قواعده؟
- ما موقف أرسطو من العقائد الثيولوجية الميثولوجية، المختلطة بنصوص الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين؟
- كيف استخلص أرسطو "**الرسالة الفلسفية**" من نصوص الفلاسفة السابقين عليه؟
- ما النتائج المترتبة على منهج "نزع الأسطورية" عند أرسطو، وما مدى تأثير ذلك على تأريخ الفلسفة اليونانية للفلاسفة السابقين على السوفسطائيين؟

وفي الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها سأستخدم في هذا البحث المنهج التحليلي النقدي في العرض. كذلك سأستخدم الجهاز المفاهيمي الهرمنيوطيقي في شرح النصوص والتعليق عليها، ولكن بما يتلاءم مع أهداف البحث.

إنه لكى يصل أرسطو إلى ذلك المذهب العقلاني كان عليه أن يستبعد الأسطورية والخرافات الدينية من تفكير السابقين عليه. وبتحليل نصوص أرسطو يمكننا أن نتعرف على الأسس النظرية والجوانب التطبيقية لهذا المنهج الأرسطي في نزع الأسطورية. ومن ثم سوف نستعرض معالمه، من خلال الحديث عن جانبين له؛ و في كليهما سنجد أن عبقرية أرسطو تتجلى بضوح لا يمكن إنكاره، وهما:

أولاً : الأسس النظرية لمنهج نزع الأسطورية

ثانيا: الجوانب التطبيقية لمنهج نزع الأسطورية .

ولنتحدث بتفصيل مناسب عن كليهما:

أولاً : الأسس النظرية لمنهج نزع الأسطورية

يتضمن هذا الجانب نقطتين هما:

أ. مفهوم التأويل عند أرسطو

ب. آليات التأويل عند أرسطو

أ. مفهوم التأويل عند أرسطو

مثَّل أرسطو الدورَ الأخيرَ من أدوار الحضارة اليونانية؛ فقد وصلت الفلسفة على يديه قمةَ العقلانية[٢]. وكان التعارض بين الدين الأسطوري والفلسفة العقلية قد بلغ ذروته في هذه المرحلة، وقد حاول أرسطو إقامة مذهب ميتافيزيقي يستبعد نهائيًا كل تفسير أسطوري[٣]. وقد لا نغالي إذا قلنا أن مَيزة فلسفة أرسطو أنها عبارة عن تركيب مُحْكَم؛ ألَّف فيه بين أقوال سابقيه من الفلاسفة وتصوراته العقلية، ونجح- حيث أخفقوا- في وضع نظرة شاملة مترابطة الأجزاء إلى الكون، ربما للمرة الأولى في تاريخ الفكر البشري[٤]. ولا يوجد من بعده مَنْ يطمح في أن ينافسه انجازاته العظيمة[٥].

- **معنى التأويل في الاستخدام القديم**

تأتي كلمة **هرمنيوطيقا** (Hermeneutics) من الفعل اليوناني (ἑρμενευειν-Hermeneuein) ويعني "يفسر"، أو "يؤول" أو "يفهم". والاسم (ἑρμηνεία-Hermeneia) ويعني تفسير (وهو متعلق بعنوان كتاب أرسطو(περι ἑρμηνείας- Peri hermeneias). ويبدو أن كليهما يتعلق لغوياً بالإله هرمس (Hermes)، رسول آلهة الأوليمب الذي كان يقوم بعملية تأويل أو تفسير كلام الآلهة من أجل

---

[٢] عبد الرحمن بدوي: أرسطو، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٣م، ص ٢٧٤.

[٣] المرجع نفسه، ص ٢٧٧-٢٧٨.

[٤] ماجد فخري: أرسطو، المعلم الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، ص ١٩.

[5] Jonathan Barnes: ***Aristotle, A very Short Introduction***, Oxford University Press, New York, 2000, p.١.

توصيله إلى بني البشر ومن هنا فإن التأويل مرادف للهرمنيوطيقا[٦]. ويعرف **لالاند** (Laland) التأويل بأنه تفسير نصوص فلسفية، أو دينية، وبنحو خاص الكتاب (شرح مقدس) وتقال هذه الكلمة خصوصًا على ما هو رمزي[٧]. ويؤوَّل في اليونانية له معان ثلاثة: ١- يعبر بصوتٍ عالٍ في كلمات، أي "**يقول**" أو "**يتلو**".٢- **يشرح**، ٣- **يترجم**[٨].

تتميز الهرمنيوطيقا عن التفسير (Exegesis) بأنها منهج هذا التفسير وأصوله وأحكامه. فإذا كان التفسير وقفًا على الشرح أو التعليق الفعلي، فإن الهرمنيوطيقا هى قواعد هذا التفسير أو مناهجه أو النظرية التي تحكمه. وإذا كان هذا التعريف قد نشأ في حقل اللاهوت (قواعد تفسير الكتب المقدسة) ونما بمقتضياته، فقد اتسع فيما بعد ليشمل الأدب ويشمل النصوص بمختلف أنواعها. وحيثما نشأت قواعدُ وتفتقت أحكامٌ واستوت أنظمةٌ لشرح النصوص أو فهمها أو فك رموزها فثمَّ علمُ التأويل أو "الهرمنيوطيقا"[٩]. وعبر تطورها الحديث ارتبطت الهرمنيوطيقا بأسماء **شلايرماخر** Schleiermacher(١٧٦٨-١٨٣٤) **ودلتاي** Dilthey(١٨٣٣-١٩١١)، وعلى وجه الخصوص، في القرن العشرين، ارتبطت بأبحاث **جادامير** Gadamer(١٩٠٠-٢٠٠٢)[١٠] .

- **أرسطو: التأويل بوصفه تفسيرًا**

يتساءل المرء- مع **جوناثان بارنيس**- متعجبًا: لماذا هذا الوابل المفاجئ من المصطلحات الفنية الذي نحته أرسطو؟[١١]، بل إذا لم يكن هناك مصطلحٌ له استعمالٌ مشترك يعبر عن الفكرة فإن أرسطو يصكه، ومن ثم فإنه واحدٌ من أكبر مبتدعي المصطلحات في العالم. وقد اتخذ، أو اخترع، عددًا هائلاً من

---

[٦] د.مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٦٦٤-٦٦٥، مادة هرمنيوطيقا.

[٧] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني، تعريب خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت- باريس، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، ص ٥٥٥، مادة تأويل.

[٨] عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادمر، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٣٤.

[٩] المرجع نفسه، ص ص ٦٨-٦٩.

[10] A.R. Lacey: *A Dictionary of Philosophy*, Routledge & Kegan Paul, New York, 1990, p.91, Art Herrmeneutic.

[11] Jonathan Barnes: *Aristotle,* p.٦.

المصطلحات. وقد لا نشتط إذا قلنا أنه يُعد المؤسسَ للغة الفلسفية في الكثير من الجوانب؛ لأنه مخترع قاموس من المصطلحات الفنية. وكثيرًا من المصطلحات التي لا تزال تستخدم حتى اليوم للتعبير عن أكثر أفكار الإنسان تجريدًا هى من اختراع أرسطو[١٢]. وليس وجه الغرابة في أن كثيرًا من المصطلحات عند أرسطو قد اندثرت، بل في أن كثيرًا جدًا منها لا يزال مستعملاً في لغاتنا الحديثة[١٣]. ومن هذه المصطلحات التي صكها أرسطو ولا تزال حتى اليوم مصطلح "**هرمنيوطيقا**".

مارس أرسطو التأويل بوصفه تفسيرًا، وذلك في رسالته"عن التأويل بيري هرمينياس"(Peri hermeneias περι ἑρμηνειας[١٤])، وهو ما عُرف في الترجمة العربية باسم كتاب "**العبارة**[١٥]". وما ترجم إلى الإنجليزية بعنوان: في التفسير (On Interpretation [١٦]). حيث يعرف أرسطو التأويل بأنه "**إعلان**" أو "**بيان**" (ἀπόφανσις)، لا يتكون من إدراك مجموعة من الوقائع، ولكن من صنع انطباعات (παθήματα) للنفس يمكن حينئذ يمكن أن تُسمى "**مفاهيم**"[١٧]؛ **فالهرمينيا** عند أرسطو تشير إلى العمل الذي يقوم به الذهن إذ يضع العبارات التي تتصل بصدق شيء ما أو بكذبه. التأويل بهذا المعنى هو العملية الأولية للفكر إذ يصوغ حكمًا صادقًا عن شيء ما[١٨].

---

[١٢] ولتر ستيس: : *تاريخ الفلسفة اليونانية*، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٦٢-١٧٠.

[١٣] جورج سارتون: *تاريخ العلم*، الجزء الثالث، ترجمة: لفيف من العلماء بإشراف إبراهيم بيومي مدكور، دار المعارف، القاهرة،١٩٩١ م ، ص ١٦٦ .

[14] C.J.DE Vogel: Greek History, A collection of Text, Vol II, Aristotle, The Early Peripatetic School And The Early Academy, The Netherlands Organization, Leiden ,1953,p 42.

[١٥]أرسطو، كتاب العبارة، نقل إسحق بن حنين، ضمن منطق أرسطو، الجزء الأول، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٩٩ وما بعدها، فقرة ١٧٩أ ومابعدها.

[١٦] بيير ديفانبيه وآخرون: معجم الحضارة اليونانية القديمة، الجزء الأول، ترجمة وتقديم: أحمد عبد الباسط حسن، مراجعة: فايز يوسف محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٧٩.

[17] C.J.DE Vogel: Op.Cit, Vol II, Aristotle,p ٤٣.

[١٨] عادل مصطفى: فهم الفهم، المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥.

وقد بحث **جادامير** في كتابه "**الحقيقة والمنهج**" هرمنيوطيقا أرسطو تحت عنوان "أهمية أرسطو تأويلياً"[١٩]، حيث تناول المعرفة الأخلاقية عند أرسطو في كتابه الأخلاق إلى نيقوماخوس (ἠθικά νικομαχεία) على أساس أن الأخلاق ليست معرفة موضوعية؛ بمعنى أن العارف لا يقف بمواجهة حالة معينة يلاحظها فقط، إنما هو في مواجهة مباشرة مع ما يراه. وهذا شيء يتعين عليه فعله. وهدف **جادامير** من العودة إلى أخلاقيات أرسطو هو من أجل أن يبين مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية؛ فمشكلة المنهج يحددها الموضوع؛ وهذا مبدأ أرسطي عام يستند إليه جادامير في موقفه ضد مناهج العلم الحديث التشييئية[٢٠]. وهذه هى النقطة– كما يقول جادامير– التي نستطيع أن نصل بها تحليل أرسطو للمعرفة الخلقية بالمشكلة التأويلية للعلوم الإنسانية الحديثة[٢١]. لقد وفر تحليلُ أرسطو للظاهرة الأخلاقية، وخصوصًا وصفه لفضيلة المعرفة الخلقية، نموذجًا من نماذج مشكلات التأويلية[٢٢].

والذي يراه الباحث هو أن أرسطو ليس فقط هو مؤسس الهرمنيوطيقا بمعناها الذي ورد في كتاب الهرمينيا، أو في تحليلاته للمعرفة الخلقية الوارد بكتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس، بل يظن أن أرسطو عرف الهرمنيوطيقا بمعنييها الشائعين في العصر الحديث؛ أي بمعنى "**نزع الأسطورية**"(Demythologizing) عن كل رسالة فلسفية أو كسمولوجية؛ وبمعنى "**الارتياب**"(Demystification)، أو الشك في العقائد الشائعة في عصره:

- **معنى التأويل في الاستخدام الحديث**

يذهب الفيلسوف الفرنسي المعاصر "**بول ريكور P.Riceur**"(١٩١٣–٢٠٠٥) إلى أن هناك منهجين أو نظامين من الهرمنيوطيقا في الأزمنة الحديثة مختلفين تمام الاختلاف: أما الهرمنيوطيقا الأولى فتمثلها

---

[١٩] **هانز جورج غادايمر: *الحقيقة والمنهج(الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية)*، ترجمة، د.حسن ناظم وعلى حاكم صالح ، راجعة عن الألمانية د. جورج كتوره، دار أويا، طرابلس،ليبيا، ٢٠٠٧م، ص ٤٢٣.**

[٢٠] **نفس المرجع، ص ص ٤٢٥–٤٢٦.**

[٢١] **نفس المرجع ، ص ٤٢٧.**

[٢٢] **نفس المرجع ، ص ٤٣٨.**

فكرة "**رودلف بولتمان R. Bultman**"**(١٨٨٤-١٩٧٦)** الفيلسوف اللاهوتي الألماني المعاصر[٢٣] الذي رأى إن النصوص المسيحية المقدسة أو الرسالة المبلغة هي **(كيرجما- Kerygma)**: أي رسالة أخلاقية يجب أن تستخلص بغض النظر عن لا علميتها أو أسطوريتها[٢٤]. والتي تمثل جوهر تأويله في نزع الطابع الأسطوري عن الكتاب المقدس أو **الديمثيولوجيا (Demythologizing)** في محاولة لفصل الرسالة الجوهرية للدين عن الميثولوجيا الكسمولوجية، وهو ما يمثل الموضوع المحوري والمشروع الفكري الرئيس الذي لم يخل منه أي مؤلف من مؤلفات بولتمان[٢٥]. وإذا نظرنا إلى الإرهاصات الأولى لمشروع بولتمان في تخليص الدين من الأساطير نجد هذه الإرهاصات قد اتخذتْ نقطةَ انطلاقها من الفلسفة اليونانية[٢٦]، ويعزو بولتمان نفسه مصطلح الهرمنيوطيقا إلى أرسطو الذي جعل الهرمنيوطيقا عنوانًا رئيسًا لأحد أهم مؤلفاته المنطقية[٢٧]. أما الثانية فتعمد إلى تدمير الرمز بوصفه تمثيلاً لواقع زائف. إنها تنزع الأقنعة وتحطم الأوهام في محاولة عقلية لا هوادة فيها لكشف الأستار وفضح التعمية والزيف **(Demystification)**: هذه هى "**هرمنيوطيقا الارتياب**" **(Hermeneutics of Suspicion)** التي يمثلها الارتيابيون الثلاثة العظام: "**ماركس Marx**" **(١٨١٨-١٨٨٣)** و"**نيتشه Nietzche**" **(١٨٤٤-١٩٠٠)** و"**فرويد Freud**" **(١٨٥٦- ١٩٣٩)**[٢٨]. كان كلُ واحدٍ من هؤلاء يؤول الواقع السطحي الظاهر كزيف وكذبٍ- كلٌ حسب اعتقاده التأويلي- ويقدم نسقاً من الفكر من شأنه أن يهدم هذا الواقع[٢٩].

---

[٢٣] بول ريكور: صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، ترجمة د. منذر عياشي، مراجعة د. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٥ م، ص ٤٤٥ ومابعدها.

[٢٤] عادل مصطفى: فهم الفهم، المرجع السابق، ص ٤١.

[٢٥] د. على حسين قاسم: ملحد في المذبح الأقدس، دراسة في فلسفة الدين واللاهوت عند رودلف بولتمان، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص ١٠٧.

[٢٦] المرجع نفسه، ص ١١٠.

[٢٧] المرجع نفسه، ص ١٥٠.

[٢٨] عن فرويد خصوصًا راجع بول ريكور: في التفسير، محاولة في فرويد، ترجمة وجيه أحمد، أطلس لنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٣ م،صفحات ٢٧، ٩٣، ٤٤٥.

[٢٩] عادل مصطفى: فهم الفهم، ص ٧٨-٧٩.

- **أرسطو: التأويل بوصفه حذفًا للأسطورية وكشفًا للزيف**

إن ابتكارات أرسطو– كما يقول بحق **ديوجينيس اللائرسي**– كانت "**بلا نظير**"؛ وفقًا لما هو واضح في قائمة مؤلفاته[٣٠]. لقد أسهم أرسطو في تأسيس المنهج الأول إسهاماً كبيراً، وقد لا أكون مغاليًا إذا قلتُ: إن أرسطو هو المؤسس الحقيقي لهذا المنهج. ويمكن– في الوقت ذاته– القول إنه مهد للمنهج الثاني تمهيدًا؛ إذ أن "نزع الأسطورية" يُعد مقدمةً ضروريةً لهرمنيوطيقا الارتياب. ونتساءل الآن – بعد أن بينا مفهوم الهرمنيوطيقا عند أرسطو– عن قواعد التأويل وآلياته عنده.

ب– آليات التأويل عند أرسطو

إن اختيار أدوات التحليل الموضوعي هو منهج البحث. غير أن اختيار أدوات معينة هو في ذاته تأويل لمهمة الفهم. وحيث أن أرسطو كان يعتقد– مثل **هيجل** من بعده– أن مذهبه، في خطوطه الرئيسة، هو الكلمة الأخيرة في الفكر، وأنه هو التعبير الكامل عن المبادئ التي استهدى بها السابقون ولكنهم لم ينتبهوا إليها الانتباه الواعي، حيث أن الأمر كان كذلك، فإنه اعتقد أنه أصبح في مستطاعه تقديم تصنيف نهائي لفروع العلوم المختلفة[٣١].

وباستقراء نصوص أرسطو يمكن أن نتحدث عن آلياتٍ أربعةٍ أساسٍ مارسها التأويلُ الأرسطي لفهم نصوص الفلاسفة السابقين عليه؛ خاصة تأويله للفلاسفة أصحاب النزعات الأسطورية والدينية، وهذه الآليات تتمثل في:

١- الفهم المُسْبَق للنص.
٢- إغفال سياق النص (المسافة الزمنية).
٣- الاختصار والإيجاز والحذف.
٤- إعادة صياغة النص.

---

[٣٠] ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، فقرة ٣٤، المجلد الأول، ترجمة وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني، محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٣٩٧-٣٩٨.

[٣١] ألفرد إدوارد تايلور: أرسطو، ترجمة عزت قرني، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ٢٠-٢١.

وفيما يأتي تفصيلٌ مناسب لهذه الآليات الأساس في التأويل الأرسطي:

١- **الفهم المُسْبَق للنص**

كلُ تأويلٍ تفسيري يظهرنا على أن التفسير هو شيءٌ سياقي أو شيء أفقي (أي متعلق بأفق معين **Horizontal**) فلا بد للتفسير أن يكون قائمًا داخل أفقٍ من المعاني والمقاصد المسلم بها أصلاً. وفي مجال الهرمنيوطيقا يطلق على هذه المنطقة- من الفهم المفترض- اسم "**الفهم المُسْبَق**"(**Pre-understanding**)[٣٢]. إن أرسطو لن يتناولَ الفلاسفةَ السابقين عليه إلا باعتبارهم جزءًا يجب تصحيحه لكي يتم إدماجه داخل مذهبه الذي يعده الكلمة الأخيرة في الفلسفة. إن تأريخه لأفكار السابقين-على حد تعبير **بارنيس**- مجرد توفير "**نقطة انطلاق**" لأبحاثه الخاصة[٣٣]. هذا ما يمكن أن نطلق عليه **الفهم المُسْبَق للنص** عند أرسطو. ويتمثل ذلك في طبيعيات أرسطو القائمة على **العلل الأربعة**: المادية والصورية والفاعلة والغائية. **لقد خطط لنا المنهجُ- عند أرسطو- مقدمًا ما سوف نراه لاحقًا!**

كان العقلُ اليونانيُ- قبل أرسطو- في حالة من الفوضى وعدم النظام، وحتى أفلاطون كان روحًا منطلقةً غيرَ محكمةٍ، تتخلله سحابةُ الخرافةِ دائمًا[٣٤]؛ فبالرغم من عقلانية أفلاطون فقد سمح للأساطير والشعر أن تسهم بقدر كبير في تطوير أفكاره، بل لقد أظهر ميلاً غريزياً نحو التصوف. وهنا نجد أن ما يريده أرسطو هو المعرفة المحددة، وكان يؤلمه أن يرى التشبيهات الشعرية تحل محل التفسير العقلاني[٣٥]. لقد وضع **ديوجينيس اللائرسي** يده على هدف التأويل الأرسطي بقوله:"لقد بز أرسطو سائر الفلاسفة الآخرين في المباحث الطبيعية، لأنه كان أكثرهم بحثًا عن "**العلل والأسباب**" بوجه خاص، لدرجة أنه قدم تفسيراً وتعليلاً للظواهر مهما كانت أهميتها قليلة جدًا. وهذا السر في العدد الكبير جدًا من الكتب والتعليقات الفيزيقية

---

[٣٢] عادل مصطفى: فهم الفهم، ص ٥١.

[33] Jonathan Barnes: *Aristotle*, p.٢٦.

[33] A.S.Bogomolov, *History of Ancient Philosophy*, Greece and Rome, trans by: V. Stankerich, Progress Publishers, Moscow, 1985 p.171.

[٣٤] ول ديورانت: قصة الفلسفة، الطبعة الثالثة، ترجمة الدكتور فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٧٨.

[٣٥] ولتر ستيس: *تاريخ الفلسفة اليونانية*، ص ٦٢-١٦٩.

التي دونها"[٣٦]. فمبحث **العلل – غير المختلطة بالشعر والأسطورة– وتفسير ظاهرة الحركة** يمثل **الفهم المُسْبَق** السائد عند أرسطو، وهو يتناول تأويله لفلسفات السابقين عليه. علينا إذن أن نفحص نقطة انطلاق أرسطو التأويلية: العلة، سواء ذلك نقص بحثها أم غموضها قبل أرسطو:

- **نقص بحث العلة قبل أرسطو**

كان كلُ هم أرسطو وما يمثل هدفه الأساس هو بحث العلة بأنواعها الأربعة، فهذا هو جوهر مذهب أرسطو[٣٧]؛ وصولاً إلى نظريةٍ في الحركة ثم في المحرك الأول؛ فالشيء الوحيد الذي كان يحتاج إلى تفسير في نظر أرسطو هو ظاهرة الحركة والتغير[٣٨]. وقد كان أرسطو يرى أن مبحث العلة قبله كان ناقصًا، وفي ذلك يقول أرسطو: "بسبب التصرفات أو الأفعال والتغيرات والحركات التي تحدث، فإنهم– أي الفلاسفة الأُول– أكدوا وجود علة بطريقة ما. **لكن ليس بهذه الطريقة المطلوبة.** أعنى ليس بالطريقة التي تجعل من طبيعتها أن تكون علة"[٣٩]."لقد فكر الفلاسفة الأُول أكثر في المبادئ ذات الطبيعة (المادية) واعتقدوا أنها هى وحدها مبادئ الأشياء جميعًا؛ فهى تلك التي تتكون منها الأشياء كلها، والتي ظهرت إلى الوجود لأول مرة، والتي تنحل إليها في النهاية. (فالموجود يظل كما هو والتغيرات تتم في مظاهره) وما يقولونه هو عنصر الأشياء ومبدؤها..ومع ذلك فهم لا يتفقون على **عدد هذه المبادئ أو طبيعتها**"[٤٠]. "مما سبق أن ذكرنا، ومن الرجال الحكماء الذين يوافقوننا ويجلسون الآن معنا في مجلس واحد، حصلنا على الشيء الكثير – سواء من الفلاسفة الأُوَل، الذين نظروا إلى المبدأ الأول على أنه مادي (لأن الماء والنار وغيرهما من الأشياء هي أجسام مادية). وبعضًا منهم افترض أن هناك مبدأً جسميًا واحداً. وآخرون افترضوا أن هناك أكثر من مبدأ.

---

[٣٦] ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المصدر السابق، فقرة ٣٢، المجلد الأول، ص ٣٩٦.

[37] Jonathan Barnes: *Aristotle,* p.٨٣.

[٣٨] و.ك.س.جثري: *الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو*،ترجمة وتقديم، رأفت حليم سيف، مراجعة، إمام عبد الفتاح إمام، مطبعة الطليعة، بيروت، ١٩٨٨م، ص،١٤٠.

[٣٩] أرسطو: *الميتافيزيقا*، الكتاب الأول، فصل ٧ ، ٩٨٨ ب،٥–٣٠ ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، ضمن كتابه: مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢٨١.

[٤٠] المصدر نفسه، الكتاب الأول، فصل ٣، ٩٨٣ ب، ٥–٣٠ ص ص ٢٧٠–٢٧١.

لكن أولئك وضعوا هذه المبادئ تحت اسم المادة. ومن بعضهم الآخر الذين وضعوا كلاً من هذه العلة وإلى جانبها مصدر الحركة، قال بعضهم إنهما شيء واحد وقال آخرون أنهما شيئان[٤١].

- **غموض بحث العلة قبل أرسطو**

كما كان مبحث العلة قبل أرسطو ناقصًا، كذلك رأي أرسطو أن بحث العلة قبله كان غامضًا، أشبه بطفل صغير، لم يتعلم الكلام بعد، فهو "**يلثغ!**"**stammering**' **فقط**[٤٢]. يقول أرسطو:

"من الواضح إذن ، حتى مما سبق أن قلناه، أن الناس جميعًا، فيما يبدو، يبحثون عن العلل لاسيما في الفيزيقا (Physics) وأننا لا نستطيع أن نسمى عللاً أخرى تجاوز ذلك. لكنهم يبحثون عن هذه **العلل في شيء من الغموض**"[٤٣]. "لأن الفلسفة القديمة كانت– في جميع الموضوعات التي درستها– أشبه بشخص **يلثغ ولا يستطيع الكلام** مادامت البدايات لم تكن سوى **طفل صغير**"[٤٤].

- **العلل الأربع والحركة عند أرسطو**

الفلسفة عند أرسطو هى البحث عن العلل والمبادئ الأولى. بل إن مصطلح **مبدأ** أو **عنصر** (ἀρχή) هو بمعنى أرسطي بحت؛ أي وضعه أرسطو واستخدمه **ثيوفراستوس** ((Θεόφραστος (٣٧٢–٢٨٨ ق.م)) من بعده، ثم بقية الكتاب[٤٥]، أما الفلاسفة السابقون على سقراط فلم يستخدم أحدٌ منهم ذلك المصطلح الفلسفي الذي صاغه أرسطو وحده. ولما كانت العلل أربعا، كان الاقتصار على إحداها في تأويل حدوث الأشياء تقصيرًا. وكذلك الفلاسفة الطبيعيون عجزوا عن تأويل ظاهرة التحول أو الصيرورة في الكون، فلم

---

[٤١] المصدر نفسه، الكتاب الأول، فصل ٥ ، ٩٨٧ أ، ٢٠–٣٠ .ص ٢٧٨.

[42] ***W. D. Ross: Aristotle, with an introduction by John L. Ackrill, Sixth Edition, Routledg, London, & New Yourk,1995, p. 163.***

[٤٣] أرسطو: *الميتافيزيقا*، الكتاب الأول، فصل ١٠ ، ٩٩٣ أ، ١٥–٢٠. ص ٢٩١.

[٤٤] المصدر نفسه،الكتاب الأول، فصل ١٠ ، ٩٩٣ أ، ٢٠–٢٥ ص ٢٩٢.

[45] **J. Burnet: *Early Greek Philosophy*, Adam & Charles–Black, London, 4 th ed, 1975, p.١١.**

يشعر هؤلاء المفكرون الأولون بالحاجة إلى تعيين أصل الحركة[٤٦]. وهو لم ينكر العلل التي قال بها **الأيونيون،** والفيثاغوريون بل أدرجها في سلسلة المبادئ التي يتركب نظامه الفلسفي منها؛ ولم ينكر العلل الصورية أو المثل الأفلاطونية، بل **هبط منها من العالم العلوي** الذي رفعها أفلاطون إليه، وأرغمها على المكوث في العالم السفلي: فلم تعد نماذج مفارقة للأشياء، بينها وبين الأشياء صلة واهية، بل باتت عناصرَ جوهرية من العناصر التي يتألف منها الموجود الفرد المركب من كل من الصورة والمادة عنده[٤٧].

يضرب الفيلسوف الإنجليزي"**فرانسيس بيكون F.Bacon**"**(١٥٦١-١٦٢٦)** في كتابه"**الأورجانون الجديد**" بأرسطو مثلاً للناس الذين يقعون في غرام "**قطاعات معينة من المعرفة والأفكار**"، إما لأنهم يظنون أنفسهم مؤلفيها ومبتكريها، وإما لأنهم أنفقوا فيها جهدًا كبيرًا وصاروا على إلف كبير بها. إذا عَمَدَ مثلُ هؤلاء الناس إلى الفلسفة والتأملات ذات الصبغة الكلية فإنهم يلوون بها ويفسدونها **لكي تلائم "خيالاتهم المسبقة!"**. **ولدينا أرسطو كنموذج واضح لهؤلاء: "لقد أخضع فلسفة الطبيعة تمامًا لمنطقه"**[٤٨]. لذلك انتقد أرسطو أراء الطبيعيين الأوائل أصحاب المبدأ الواحد الذين ردوا الأجسام الطبيعية، بل الكون بأسره إلى مبدأ واحد لا غير[٤٩]. إن التفسير المناسب للطبيعة يجب أن يقرر **الطبيعة الرباعية الجوانب** للعلة. ولا يكاد هذا المذهب الجديد للعلة يعطي لمضمون تعاليم الفلاسفة القدماء **الغني بالخبرة**- كما يقول بحق **بنيامين فارنتن**- ما يستحقه من تقدير[٥٠]. لقد أغفل أرسطو "**غنى الخبرة" الدينية والأسطورية**؛ ورأي أن علل السابقين عليه كلها **مادية** وأن بحثها كان ناقصًا وغامضًا فلم يتوصل السابقون إلى مفهوم صحيح للحركة؛ البداية التي سينطلق منها أرسطو للوصول إلى نظرية **محرك أول لا يتحرك (ὁ κινητής ἀκίνητος))**. هذه النظرية: **العلل (αιτία) والحركة (ἡ κίνησις)** هى ما شكل فهم أرسطو **المُسْبَق** وقد أضفى تأويلُه للفلاسفة السابقين عليه طابعًا أرسطيًا خالصًا!

---

(46) **Ibid, p.١٢.**

(٤٧) ماجد فخري: أرسطو، المعلم الأول، ص ٢٢.

(٤٨) فرانسيس بيكون: الأورجانون الجديد، إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، فقرة ٥٤، ترجمة د. عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٣٩.

(٤٩) د. مجدي كيلاني: أرسطو، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص ٨٩.

(٥٠) بنيامين فارنتن: العلم الإغريقي، الجزء الأول، ترجمة: أحمد شكري سالم، مراجعة: حسين كامل أبو الليف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٤٨.

٢- إغفال سياق النص (المسافة الزمنية)

لكل نص (Text) سياق (Context)؛ والمعنى هو مسألة سياق؛ فالإجراء التفسيري يقدم ساحةً يجري عليها الفهم. ولا يتحلى الحدث بالمعنى إلا في سياق معين. فالدلالة هى علاقة بالمستمع– مشروعاته الخاصة ونواياه– والعلاقة تحدد الدلالة. كل تأويل يفترض مقاصدَ معينة لدي أولئك الذين يتوجه إليهم التفسير[٥١]. لقد أغفل **أرسطو** في تأويله للسابقين سياقَ النصوص اللاهوتي والأسطوري الذي كان يقوم بتأويله، مع أن استحضار هذا السياق أمر لازم لفهم النصوص. وبناء عليه فقد أغفل أرسطو "**المسافة الزمنية**"**(Temporal distance)**، التي بينه وبين السابقين عليه، وهى مسافة قد تصل إلى قرنين تقريبًا؛ من القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن الرابع قبل الميلاد. مسافة سمحت للفهم التأويلي الأرسطي أن يعيد بناءَ النص ويعيد إنتاجَ دلالاتٍ ومعانٍ جديدةٍ. إن مسافة قرنين تقريبًا تبدو كافية لتغير اللغة وتغير معانيها ودلالتها، ويسمح بسهولة تأويلها؛ والآلية المُعِينة لأرسطو بسيطةٌ؛ تتمثل فقط في إغفال السياق: الميثولجي الثيولوجي:

- **اختلاط الكسمولوجيا بالميثولوجيا والثيولوجيا قبل أرسطو**

امتزجت الأسطورية والعقلية في الكسمولوجيا المبكرة عند الطبيعيين الأوائل امتزاجًا لا ينفصل[٥٢]. فلم يكن هناك انتقال فجائي من الأسطورة إلى الفلسفة. إذ يمكن للمرء، مثلاً، أن يقول إن أنساب الآلهة عند هسيودوس قد وجدت خلفًا لها عند النظر الكسمولوجي الأيوني. وتراجع العنصر الأسطوري أمام نمو العقلانية. لكنه لم يختفِ تمامًا. والواقع أنه ظل حاضرًا في الفلسفة اليونانية حتى عصر ما بعد سقراط[٥٣]. ولم يفعل أرسطو سوى أنه **أغفل دور السياق الميثولوجي لنصوص الفلاسفة السابقين عليه**، مستخلصاً

---

[٥١] عادل مصطفى: فهم الفهم، ص ٥٠.

[52] Werner Jaeger: Aristotle, Fundamentals of the History of His Development, trans with the authors corrections and additions by, Richard Robinson, second edition, Oxford at the Clarendon Press, London,1986,p ٣٧٧.

[٥٣] فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الأول (اليونان وروما)، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ص،٤٧– ٤٨.

مذاهبَهم الماديةَ وحدها. عكس أستاذه أفلاطون؛ حيث كان أرسطو حتى وهو يعالج اللاهوت الأسطوري، يعالجه بشكل مادي؛ بينما كان أفلاطون، حتى وهو يتناول علم الطبيعة، يعالجه بشكل لاهوتي[٥٤]. ولا عجب فقد أُعد أرسطو، منذ البداية، ليكون مؤسسَ العلم؛ حيث شب أرسطو في شذا علم الطب كما شب أفلاطون وكثيرٌ من الفلاسفة المتأخرين في شذا الطهارة والقداسة[٥٥].

- **إغفال أرسطو للسياق الميثولوجي الثيولوجي**

لقد أغفل أرسطو النزعات الثيولوجية الميثولوجية عند معظم الفلاسفة السابقين عليه، وقام بعزل الرسالة الفلسفية بعيداً عن السياق الديني والأسطوري الذي أنتجها، رغم أن أرسطو أحيانًا كان يشير إلى ذلك السياق كما في النص الأتي: "أما مدرسة هسيودوس والميثولوجيين (Mythologists) جميعا فقد اهتموا فقط بما يقبلونه هم أنفسهم، ولم ينصب اهتمامهم على ما نقبله نحن، فجعلوا المبادئ الأولى آلهة، أو أبناء آلهة.. ومن هنا فإن **خبايا الميثولوجيين لا تستحق منا البحث الجاد**. أما أولئك الذين يستخدمون **لغة البرهان** فهم الذين يستحقون الفحص المتأني"[٥٦].

والواقع أن أرسطو قد قام بتأويل لغة من لم يستخدم البرهان من بعض الفلاسفة السابقين عليه، (وبعضهم تلاميذ حقيقيين في مدرسة هسيودوس والميثولوجيين كفيثاغورس وإمبادوكليس مثلاً) إلى لغة برهانية وذلك بعد أن قام بعزل السياق الأسطوري ليصفو له البرهان ويكون خالصًا!

إن أرسطو– على حد تعبير **جثري**– كان يملك مزاجًا علمياً لا يملكه غيره من الإغريق[٥٧]. فإذا كان طاليس قد قرر أن أصل العالم والمادة الأولى "**الماء**". وفي الوقت نفسه قال:"**إن كل شيء مملوء بالآلهة**"، فإن أرسطو يقبل بالعبارة الأولى ويقرر لذلك أن طاليس هو مؤسس الفلسفة، ويؤول الثانية بأن الآلهة هى النفوس[٥٨]، بل ويتبرع بذكر براهين منطقية تؤيد مذهب طاليس الذي يرد الوجود إلى الماء، لم يذكرها طاليس

---

(٥٤) بنيامين فارنتن: العلم الإغريقي، الجزء الأول، ص ١٣٩.

(٥٥) ول ديورانت: قصة الفلسفة، ص ٧٦.

(٥٦) أرسطو: الميتافيزيقا، الكتاب الثالث، ٤ ، فقرة ١٠٠٠أ، ١٠–١٥ ص ٣١٤.

(٥٧) و.ك.س.جثري: *الفلاسفة الإغريق*، ص ٤٥.

(58) Aristotle, De Anima, v,8,9 نقلاً عن د. مجدي كيلاني٢٠٠٩: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دراسة مصدرية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص، ٢١.

نفسه وربما لم تخطر له على بال: "فطاليس مؤسس هذه المدرسة الفلسفية يقول إن هذا المبدأ هو الماء (ولهذا السبب فهو يعلن أن الأرض تطفو فوق سطح الماء) **وربما جاءته الفكرة** من رؤيته أن الأشياء جميعًا لابد أن تكون رطبة، وأن الحرارة نفسها تنشأ من الرطوبة، وتبقى حية بواسطتها (أو أن ما صدرت عنه هو مبدأ كل شيء). وقد استمد فكرته من هذه الواقعة، وأن بذور كل شيء ذات طبيعة رطبة، وأن الماء هو أصل طبيعة الأشياء الرطبة[٥٩].

إن الأطروحة التي تقول إن الماء هو العنصر الأصلي، نتجت عن ملاحظة أن الحياة لا تقوم من دون رطوبة، أمر –كما يقول **جادامير**– لا يتطابق مع التفكير السائد في القرن السادس قبل الميلاد؛ فهى تفترض سلفًا تطورًا معينًا في علم الحياة والطب، لم يكن قد حدث بعد في زمن طاليس، هو تطور تسلل إلى الوعي في القرن الخامس[٦٠]. **لقد أوَّل أرسطو عبارات طاليس؛ بعد ذلك يأتي مؤرخو الفلسفة لينسبوا– ببساطة– براهين أرسطو باعتبارها براهين من بنات أفكار طاليس نفسه!** لقد درس **فيرنر ييجر** لاهوت الطبيعيين الملطيين في الفصل الأول من كتابه "لاهوت الفلاسفة الإغريق المبكرين". وانتهى إلى تقرير أن ما يسمى **بفلسفة الطبيعة** نجد فيه كذلك اللاهوت وأنساب الآلهة والأساطير جنبًا إلى جنب مع فلسفة الطبيعة[٦١]. ومن ثم نستطيع بسهولة اكتشاف أن التأويل الأرسطي لم يقم فقط بعملية إغفال لسياق النصوص التي يؤولها، بل قام باختصار وإيجاز؛ بله حذف كل نصٍ يحتوي على مذهب لاهوتي تقليدي أو أسطوري:

٣- <u>الاختصار والإيجاز والحذف</u>

إذا كان أرسطو قد أغفل سياق النصوص في منهجه التأويلي فإنه قام أيضًا باختصار النصوص وإيجازها بل وحذف ما لا يخدم غرضه التأويلي النهائي لهذه النصوص، وهو غرض يكرس "خدماته التأويلية" في سبيل مذهب أرسطو ذاته. وما قدمه أرسطو من تأريخ للفلسفة اليونانية ليس سوى مجرد "**رسم تخطيطي**

---

(٥٩) أرسطو: الميتافيزيقا،ا لمصدر السابق، لكتاب الأول،٣، فقرة ٩٨٣ ب،٢٥–٣٠ ص ص ٢٧٠–٢٧١.

(٦٠) هانز جورج غادامير: *بداية الفلسفة*، ترجمة على حاكم صالح و حسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١١٥.

(61) W. Jeager: *The Theology, Op.Cit*, p.٣٦.

موجز" لأسلافه على حد تعبير **زيلر**[٦٢]. وفي ذلك يقول أرسطو: "روايتنا عن هؤلاء المفكرين الذين تحدثوا عن المبادئ الأولى والحقيقة الواقعية (Reality) والطريقة التي تحدثوا بها **قد اختصرتاها وأوجزناها.** ومع ذلك فقد تعلمنا منهم الشيء الكثير. وأولئك الذين تحدثوا عن المبدأ والعلة لم يذكر أحد منهم أي مبدأ باستثناء الذين ميزناهم في كتابنا عن الطبيعة. ومن الواضح أنه لم يكن سوى معرفة ضئيلة عنهم- رغم أنها غامضة"[٦٣].

لقد تصرف أرسطو في كتابه "**الميتافيزيقا**"- ونتفق في ذلك مع **جادامير**- بصورة بالغة الاختصار، عندما يصنف الفلاسفة الملطيين الثلاثة (طاليس وأناكسماندروس وأنكسيمينيس) تحت فكرة أساسية واحدة هى **العلة المادية** ليشوه بذلك موقع أناكسيماندروس على نحو خاص، وهذا هو السبب في **لزوم مساءلة أنفسنا عما كان يفكر فيه أرسطو فعلاً بصدد الأيونيين**[٦٤].

لقد مارس أرسطو الاختصار والإيجاز إلى الدرجة التي جعلته يحذف نصوصًا بأكملها مثل حذفه لمقدمة قصيدة بارمينيديس اللاهوتية، وعدم ذكره لقصيدة التطهيرات الدينية لإمبادوكليس، وهذان مجرد مثالين فقط، كما سوف نرى بعدُ، عن طريقة أرسطو في الاختصار والإيجاز، بله الحذف.

٤- إعادة صياغة النص

بعد ذكر الآليات والقواعد الثلاث السابقة يكون التأويل الأرسطي بعدها جاهزًا لإعادة الصياغة بحيث تُصب النصوصُ في لغة أخرى غير لغتها الأصلية، الأسطورية الدينية؛ بحيث تُصاغ في لغة هى لغة أرسطو التجريدية، البرهانية العقلية، الخالية من شوائب اللاهوت والأسطورة!

---

(62) **Zeller, *Outlines of The History of Greek Philosophy*, Trans by:- LR. Plamer, Dover Publications Inc, New York, 13th Ed, 1980, p.22.**

(٦٣) **أرسطو: *الميتافيزيقا*، الكتاب الأول، ٧ ، ٩٨٨ أ،١٥-٢٠، ص ٢٨٠.**

(٦٤) **هانز جورج غادايمر: *بداية الفلسفة*، ص ١٢٦.**

إن **كورنفورد** يقرر إن الفلسفة اليونانية في نظرياتها عن "**طبيعة الأشياء**"، (كما عند طاليس والأيونيين مثلاً)، لا تخرج عن العناصر الأولية الموروثة من الدين[٦٥]: فاعتبرت الطبيعة **كالنفس**[٦٦] واعتبرت الطبيعة **كالآلهة**[٦٧]. لم تعد مهمةُ التأويل عند أرسطو هى **صيانة الوجود الخاص بالنص**، وحمايته من "**التقول عليه**"[٦٨]. لقد أوَّل أرسطو مذاهب الأيونيين تأويلاً طبيعياً خالصاً، يتفق مع وجهة نظره في العلل الأربعة. لقد وضع المبدأ الأول للأيونيين تحت عنوان "**العلة المادية**". ووجهة نظره هذه – كما يقول **كورنفورد**– **ليست تاريخية**[٦٩]. هل بإمكاننا القول إن أرسطو قد ارتكب ما يعرف في الهرمنيوطيقا الحديثة باسم "**هرطقة إعادة صياغة النص**"؟!

إن **جادامير** يرى مثلاً إنه إذا ما وضع المرء نفسه في إطار المشهد الثقافي في القرن السادس قبل الميلاد، فسوف تكون الصورة مختلفة تمامًا. **أنه من المضلل إتباع أرسطو** في تأكيد أن الماء وبعد ذلك الهواء قد افترضا **كمبدأين**، وأن كل واحد منهما افترض كذلك بمعنى الجوهر المادي، إنما المسألة خلاف ذلك، فنحن نتعامل هنا مع شيء آخر، مع قابلية الأشياء على التغير (نظرية أرسطو عن الحركة)، وليس مع **العناصر(αρχαι)** [٧٠]. المصطلح الذي اخترعه أرسطو! إن من يعزل مذهبًا بعينه عن حركة الأفكار التي حبلت به، وعن العاطفة (الدينية الأسطورية) والنية اللتين تسددان خطاه، ويرَ فيه مجردَ نظريةٍ أو قضيةٍ مطلوب البرهان عليها، يَكُنْ– كما يقول **برهييه**– قد استبدل فكراً مَيْتًا بفكرٍ حيٍ ودالٍ. ولسنا نستطيع فهماً لفكرة من الأفكار الفلسفية إلا من خلال صلتها بالكل الذي هي مظهر من مظاهره[٧١]. وإذا كنا قد عرضنا لقواعد وآليات التأويل عند أرسطو فيبقى أن نعرض لما نسميه "**بالتأويل التأريخي**" عنده:

---

(65) ***F.M.Cornford: From Religion To Philosophy, Princenton University press, Princenton, 1991, p ١٢٧.***

(66 ***Ibid p, ١٢٩.***

(67) ***Ibid, p ١٣٤.***

(٦٨) عادل مصطفى: فهم الفهم، ص ٤٠.

(69) ***F.M.Cornford, Op.Cit, p ١٢٨.***

(٧٠) هانز جورج غادامير: *بداية الفلسفة*، ص ١١٤.

(٧١) اميل برهييه: *تاريخ الفلسفة*، الجزء الأول، الفلسفة اليونانية، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، ص ١٤.

ثانيا: الجوانب التطبيقية لمنهج نزع الأسطورية

يرى **جادامير** أن أي بداية لتاريخ الفلسفة يجب أن تبدأ بأفلاطون وأرسطو، فذلك هو المدخل الفلسفي الوحيد لتأويل الفلسفة قبل سقراط[٧٢]. ولن يكون غرضنا من تناول التأريخ عند أرسطو إلا من زاوية واحدة: هى زاوية علاقة هذا التأريخ بمنهجه التأويلي. وهو ما نسميه "**المنهج التأويلي التأريخي**" للفلسفة عند أرسطو. وذلك يتطلب أولاً: مناقشة تأريخ أرسطو لفلسفة السابقين عليه، ثم نتناول، بعد ذلك– كنموذج فقط وليس بغرض التقصي– تأويلَ أرسطو لبعض الفلاسفة. وذلك من خلال العنصرين الآتيين:

أ- تأريخ أرسطو للفلسفة.

ب- تأويل أرسطو لبعض الفلاسفة.

أ- تأريخ أرسطو للفلسفة

- **أقدم تأريخ للفلسفة**

كانت معارفُ أرسطو التاريخية، خاصة معرفته بأعمال الفلاسفة السابقين عليه، واسعة ومتنوعة[٧٣]. **وباستخدام آليات التأويل الآنفة الذكر، راح أرسطو يسطر أولَ وأقدمَ تأريخ معروف للفلسفة اليونانية حتى عصره**؛ فربما لم يظهر وعيٌ تاريخيٌ واضح متميز إلا عند أفلاطون؛ فأفلاطون يشير إلى بعض الفلاسفة القدماء الذين يرى أنهم على الطريق الصحيح، باعتبارهم خلفاء ورفقاء على طريق الفكر. ومع ذلك فلا يظهر

---

(٧٢) **هانز جورج غادامير**: ***بداية الفلسفة***، **ص ٧.**

(73) **Zeller**, ***Op.Cit***, **p.**١٨٦.

أول تأريخ للفلسفة بالمعنى الكامل إلا مع أرسطو الذي كان يرى أن نظرياته الخاصة يؤيدها الفلاسفة الأولون[٧٤].

ولقد أصبح هذا التأريخ ذا أهمية كبرى بل واكتسب هذا التأريخ نفوذاً. وكان نفوذه– **شأنه شأن كل ما كتبه هذا الفيلسوف العبقري**– قد أوشك أن يبلغ – على حد تعبير **برتراند رسل**– ما للكنيسة في العصور الوسطى من سلطان لا يقبل الجدل[٧٥]. إن قيل: قال الفيلسوف، فالمستمع لا ينصرف ذهنه إلا إلى شخص واحد الفيلسوف: أرسطو. فإن فلسفته مارست تأثيرها على الغرب الأوربي لمدة أربعة قرون كاملة– دون منازع تقريبًا[٧٦]، وقد بدأ تأثيره من خلال تلاميذه بعد وفاته فنجد **ثيوفراستوس Θεόφραστος (٣٧٢–٢٨٨ ق.م)** أول رئيس **للوكيون (Lycieon)**، بعد ذهاب أرسطو إلى **خالكيس** عام ٣٢٣ ق.م[٧٧]، وأول من كتب تأريخا للفلسفة بعد أرسطو في كتابه آراء الطبيعيين **(فيزيكون دوكساي φυσικων δόξαι)**، ويُعد من أهم مصادر تاريخ الفلسفة في الفترة السابقة على سقراط، قد نظر إلى جميع الفلاسفة السابقين على أنهم **مجرد إرهاصات لأرسطو كما أقحم أفكارهم إقحامًا في إطار أرسطي**[٧٨]. مع أن أرسطو لم يؤرخ للفلاسفة السابقين عليه بغرض التأريخ الخالص، وإنما **لغرض تأويلي محض** سنبينه حالاً، لكن بعد فحص تطور تأريخ أرسطو للفلسفة أولاً:

- **تطور تأريخ الفلسفة عند أرسطو**

مر التأريخ الأرسطي للفلسفة اليونانية بأطوار ثلاثة– حسب تقسيم فيرنر ييجر الشائع– الطور الأول: الطور الأكاديمي(The Academy)، الطور الثاني: طور التنقل (Travels)، الطور الثالث: طور

---

[٧٤] أولف جيجن: المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، ترجمة، عزت قرني، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٤٧.

[٧٥] برتراند رسل: *تاريخ الفلسفة الغربية*، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، ترجمة، زكي نجيب محمود، راجعه، أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٢٦١.

[76] J. Burnet: *Early Greek Philosophy*, p.١٥٦.

[٧٧] ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، فقرة ٣٦، المجلد الأول، ص ٣٩٩.

[٧٨] د.محمد فتحي عبد الله: : *مترجمو وشراح أرسطو عبر العصور، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٠م، ص ٢٣–٢٤.*

النضج،(Maturity)؛ ففي الدور الأول ، وقد كان فيه أرسطو أفلاطونيًا مخلصًا[٧٩]، تابع فيه التلميذُ أرسطو فلسفةَ أستاذه أفلاطون؛ ليس فقط في تبني فلسفته بل حتى في الأسلوب الأدبي الذي كتب به أفلاطون فلسفته وهو أسلوب المحاورات؛ فكتب أرسطو سلسلةَ من محاولاته الفلسفية الأولى في نفس القالب الأفلاطوني: المحاورات[٨٠]. و في هذا الدور المبكر كانت **النزعة الدينية** التقليدية تسيطر على أرسطو، حتى إن **فيرنر ييجر** يقول: إنه لا أحد في العالم القديم قد تحدث أجمل أو أعمق من أرسطو عن الحياة الدينية حينما كان الدينُ يحتل مكانةً مركزيةً في تفكيره[٨١]. لكن أرسطو تخلص من هذه النزعة في الدور الثاني لصالح نزعة عقلانية، لا أثر للأساطير الدينية فيها، ثم انتهى في الطور الثالث إلى نزعة طبيعية[٨٢].

- **محاورة في الفلسفة- περι φιλοσοφιας**

هذه المحاورة وضعها أرسطو في الطور الثاني، طور التنقل، بعد موت أفلاطون سنة ٣٨٤،(أو في سنة ٣٥٠-٣٤٩ وكلها تواريخ تقريبية وافتراضية كما يقول **كروست**[٨٣]). ومهما كان تاريخ كتابة محاورة في الفلسفة فهى تمثل بحق معلمًا مهمًا من معالم مذهب أرسطو وتطوره[٨٤]. وقد استمر الطور الثاني حتى عودة أرسطو إلى أثينا وتأسيس الأكاديمية(من سنة ٣٥٥ – ٣٣٦) وقد أثبت **ييجر** أن هذا الدور الثاني كان الأساسَ لكل فلسفة أرسطو، ولكن لم يبق من هذه المحاورة إلا شذرات[٨٥][٨٦]. وفي هذه المحاورة لم

---

(79) **Francis M, Cornford: Before And After Socrates, Cambridge University Press, Cambridge, New York, ,1990,p 85.**

(80) **Werner Jaeger: Aristotle,p ١٥٩.**

(81) **Werner Jaeger: Aristotle' p ١٢٨.**

(٨٢) **عبد الرحمن بدوي: أرسطو، ص ٢٧٩.**

(83) **A. H. Chroust: *Aristotle, New Light on his life and some of his lost works, Vol II, Observations on some of Aristotles Lost works*, Routledge & Kegan Paul, London, 1973, p14**

(84) **W. K. C.Guthrie:A History of Greek Philosophy.Vol. VI ,*Aristotle, An Encounter*, Cambridge Universty Press, New York, 1990, P.83.**

(٨٥) **مها أحمد السيد الشناوي: محاورات أرسطو وأصولها الأفلاطونية، الطبعة الأولى، تقديم: د.محمد فتحي عبد الله، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ٣٧٠.**

يقتصر تأريخ أرسطو للفلسفة على الفلاسفة اليونان، من طاليس فصاعدًا (**تقول كاثلين فريمان: بالنسبة لأرسطو وبالنسبة لنا- تعني الأوربيين- فإن العلم والفلسفة يبدآن بطاليس**[٨٧])، كما فعل فيما بعد في كتابه "**الميتافيزيقا**"، بل على العكس عاد إلى تأريخ الفلسفة بدايةً من الشرق[٨٨]. فذكر الشرقيين، وإبداعَهم باهتمام واحترام[٨٩]. وذكر المصريين (وقد أبقى على ذكرهم وحدهم في كتاب الميتافيزيقا باعتبارهم مؤسسي الرياضيات[٩٠] وأغفل بقية الشرقيين! [٩١]) أما المجوس (The Magi) أو الزرادشتيين (Zoroastrians) فقد اهتم بهم أرسطو كثيرًا في محاورة في الفلسفة[٩٢]. فقد أشار مثلاً إلى أن الزرادشتية "أكثر الطوائف الفلسفية وضوحًا ونفعية". وإن كانت هذه الشذرة مليئة بالأخطاء التاريخية فهو يرى أن المجوس أكثر قدما من المصريين وإن زرادشت قد عاش ستة آلاف سنة قبل وفاة أفلاطون! [٩٣]. على أية حال فإن هذا الكم من الحقائق عن الحكمة ووضع تواريخ مختلفة للثقافات الشرقية واليونانية يخالف تمامًا ما انتهى إليه تطورُ فكرِ أرسطو التأريخي في كتاب الميتافيزيقا حيث قرر أن طاليس- وحده- هو مؤسس الفلسفة. لكن في مرحلة " في الفلسفة" يفرق أرسطو بين الأفكار الدينية والشكل الذي ظهرت فيه، حيث أراد أرسطو أن يؤكد على اعتقاده بالدورة الطبيعية في إحياء الحقائق القديمة وظهورها من جديد في التاريخ البشري[٩٤]، وبذلك يكون أرسطو قد تجاوز في محاورة في الفلسفة **فلك الفلسفة اليونانية** وذكر فلاسفة وحكماء الشرق. وهو ما لا نجده في كتابه الميتافيزيقا، حيث احتفظ بأسبقية بداية الفلسفة لليونان وحدهم[٩٥]. واعتبر أن طاليس هو أول شخص استند إلى التجربة والدليل في تفسيراته بدلاً من رواية الأساطير[٩٦] .وقد خلف أرسطو وراءه إشكالية

---

(٨٦) أرسطو: محاورة في الفلسفة ترجمة، مها أحمد السيد الشناوي، ضمن كتابها: محاورات أرسطو، المرجع السابق، ص ص ٣٤٥-٣٦٧.

(87) K. Freeman: *The Pre-Socratic philosophers*, 2nd ed. Basil Black Well Oxford, 1959, p,xi.

(88) C.J.DE Vogel: Greek History, Vol II, Aristotle,p 28.

(89) Werner Jaeger: Aristotle,p 128.

(90) J. Burnet: *Early Greek Philosophy*,p.١٥.

(٩١) أرسطو: الميتافيزيقا، الكتاب الأول، ١، ٩٨٧ ب، ٢٠-٢٥ ص ٢٦٧.

(92) Werner Jaeger: Aristotle, p ١٣٣.

(٩٣) أرسطو: محاورة في الفلسفة، شذرة رقم ٦، ترجمة مها أحمد السيد الشناوي، ص ٣٤٦.

(٩٤) مها أحمد السيد الشناوي: محاورات أرسطو، ص ٣٧١-٣٧٢.

(95) A. H. Chroust: *Aristotle,* p٢٠٩.

(٩٦) هانز جورج غادايمر: *بداية الفلسفة*، ص ١٧.

مصدر الفلسفة اليونانية؛ هل هو يوناني خالص أم أن الشرقيين لهم مساهمةٌ فيه؟ وهى الإشكالية التي اختلفت حولها آراءُ الباحثين وما زالت تختلف حتى الآن. ولكن- في كلتا الحالتين- لن يخرج الباحثون عن رأي أرسطو؛ فالذين يقولون ب"الأصل الشرقي للفلسفة" ينطلقون من رأي أرسطو الذي أثبته في محاورة "**في الفلسفة**"؛ والذين يقولون بـ"المصدر اليوناني الخالص"، وبالمعجزة اليونانية، يذهبون مذهب أرسطو في كتابه "**الميتافيزيقا**"!

- **كتاب الميتافيزيقا** - μέτα τα φυσικά

يُنسب الجزءُ الأكبرُ من كتاب ما بعد الطبيعة، وخصوصًا مقالة اللامدا(Λ)، ماعدا الفصل الثامن (مع استبعاد الفقرة ١٠٧٤، ٣٢-٣٨ من هذا الفصل، وإضافتها إلى عصر متقدم) ينسب أيضًا إلى الدور الثاني، وفيه أجرى أرسطو مراجعة نهائية لنظريته في اللاهوت الخاص به أعني نظريته في المحرك الأول. ولم يوجد في الدور الثالث، طور الأستاذية والنضج (وهو من تاريخ عودة أرسطو إلى أثينا ٣٣٦ وحتى وفاته ٣٢٢)، إلا الفصل من مقالة اللام[٩٧]. وعلى ذلك لا يكون كتابُ الميتافيزيقا وَحْدَةً؛ وإنما هو كتابٌ مفككٌ، كُتب في أدوار مختلفة، وعلى أنحاء متباينة[٩٨].

بحث أرسطو في الكتاب الأول من الميتافيزيقا آراء السابقين عليه ليرى- حسب قوله- ما إذا كانوا قد ناقشوا أي نوع آخر من العلل إلى جانب العلل الأربع التي ذكرها. وانقاد بهذه الطريقة إلى تقديم تخطيط موجز لتاريخ الفلسفة اليونانية حتى عصره، ولم يكن معنيًا بإعداد فهرس لكل آرائهم سواء كان لها صلة بغرضه أم لا، لأنه كان يرغب في تعقب تطور فكرة العلل الأربع بطريقة مقنعة. وكان لدى أرسطو- مثل هيجل- نفس الميل إلى النظر إلى فلسفته الخاصة على أنها مركب- على مستوى أعلى من الفكر- لجميع السابقين عليه؛ وهناك بغير شك بعض الحقيقة فيما يزعمه أرسطو، لكنه ليس صحيحًا تمامًا على الإطلاق،

---

[97] **Werner Jaeger: Aristotle, p ١٣٣.**

[٩٨] **عبد الرحمن بدوي: أرسطو، ص ٤٥.**

بل إنه أحيانًا يكون بعيدًا عن إنصاف السابقين[٩٩]. حيث أن تأريخه للفلاسفة السابقين قد جاء ملونًا على ضوء فلسفته الخاصة وكان عرضه لهذه المذاهب بمثابة تمهيد لقيام مذهبه الكامل وفلسفته الناضجة[١٠٠].

- **كتب أرسطو الأخرى**

بسط أرسطو في المقالة الأولى من كتاب ما بعد الطبيعة آراء قدماء الفلاسفة بسطًا هو بمثابة أول تاريخ للفلسفة. إلا أن أشارته إلى هذه الآراء ليست مقصورة على المقالة الأولى، بل هى مبثوثة في أجزاء متفرقة من كتاب ما بعد الطبيعة وكذلك في الكتب الطبيعية الأخرى مثل: الطبيعة، والكون والفساد، وغيرها.

- **تقدير أرسطو كمؤرخ للفلسفة**

يرى جون بيرنت (Burnet) أن **أفلاطون** كان لديه **وعيٌ تاريخي**، بالفلاسفة السابقين عليه (وهو شيء نادر في العصور القديمة)، في حين أن **أرسطو**، **كقاعدة عامة**، هو أقل وثوقيةً- من الناحية التاريخية- من أفلاطون؛ لأن أرسطو يناقش المسائل من خلال مذهبه هو[١٠١]. ولم يكن أرسطو منصفًا دائمًا لمذاهب السابقين؛ فعلى سبيل المثال فأنه "لم يعدل في حكمه على الفلسفة الإيلية". ويجب ألا ننسى أن أفكار أرسطو قد أخذها عن أستاذه أفلاطون، وعلينا أن نلاحظ أن أرسطو كان يأخذ أسلوب أفلاطون التهكمي الساخر أخذا جدياً، بل حرفيًا![١٠٢] ويرى **أحمد فؤاد الأهواني** أن في هذا الحكم من **بيرنت**، كثيراً من التحامل على أرسطو؛ فأرسطو كما يُعد فيلسوفًا صاحب مذهب خاص، يُعد كذلك مؤرخًا لفلسفة السابقين عليه، فهو يسلك في كل موضوع يكتب فيه منهجًا تاريخيًا، فيتتبع جميع الآراء التي قيلت في هذا الموضوع ويرد عليها، حتى يمهد لمذهبه الخاص. فعل ذلك في كتبه: الطبيعية و **ما بعد الطبيعة**. ولا ننسى أن أرسطو

---

[٩٩] **فردريك كوبلستون: *تاريخ الفلسفة*، المجلد الأول، ص، ٣٩٣.**

[١٠٠] **أميرة حلمي مطر: *الفلسفة عند اليونان*، الجزء الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٤.**

[101] **J. Burnet: *Early Greek Philosophy*, p.٣١.**

[102] **Ibid, p.٣٢.**

كان قريب العهد بأولئك الفلاسفة فروى آراءهم الموجودة في كتبهم فعلاً، أو نقلاً عن تلاميذ مباشرين. وأرسطو هو الذي رسم الطريق لتلميذه **ثيوفراستوس** من بعده[١٠٣]. ويري **جادامير** إن النصوص الحقيقية الأولى لبحث فلسفات السابقين، هي كتابات أفلاطون وأرسطو معًا، وانطلاقًا من سياق هذه النصوص الكاملة لأفلاطون وأرسطو فقط، يمكننا أن نفهم حتى الشذرات التي جمعها **هيرمان ديلز (Hermann Diels)**، للفلاسفة السابقين على سقراط[١٠٤]. وعلى ذلك يجب أن نحتفظ باستمرار بتفوق المفهوم الأرسطي إذا رغبنا في تقييم الاستشهادات بالفلسفات قبل سقراط[١٠٥]. والآن نطرح التساؤل المهم- فيما يخص أرسطو -هل هذا صحيح من كل وجه؟

- **الغرض التأويلي للتأريخ عند أرسطو**

إذا كان تاريخ الفلسفة لا يجب أن يكون تاريخاً للأفكار فقط، ولا يجب أن يكون فرعًا من التاريخ، بل يجب أن يكون تاريخ الفلسفة أيضًا فلسفة، كما يقول **هاملين** (Hamlyn) [١٠٦]، **فإن تأريخ أرسطو للفلسفة هو ليس فلسفة فقط، بل بالإضافة إلى كونه كذلك، هو فلسفة أرسطية.** إن عملية جمع أقوال الفلاسفة السابقين على سقراط منذ ثيوفراستوس وتابعيه تستند إلى حد كبير إلى شهادات أرسطو. لذلك أصبح من الضروري أن نشير إلى أن أرسطو لم يرغب في أن تكون شروحه لفلاسفة ما قبل سقراط تأريخًا أكثر مما فعل أفلاطون، ولكنه انهمك في ذلك بسبب المشكلات التي أثارتها فلسفته[١٠٧]؛ فلا يصح أن نتصور أن عمله في هذا الصدد كان عملاً تأريخيًا خالصًا؛ بقدر ما كان يقدم عرضًا لتلك الآراء السابقة من وجهة نظره هو أو على الأقل كان يقدمها بشكل انتقائي إما للاستفادة مما قيل أو لنقده وتجاوزه[١٠٨]. إن ما قاله **(بيرنت)** يمكن للباحث أن يقدم لتأييده مزيدًا من الأدلة، وذلك على النحو الآتي:

---

(١٠٣) **أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٣٥.**

(١٠٤) **هانز جورج غادايمر: *بداية الفلسفة*، ص ص ٤١-٤٢.**

(١٠٥) ***المرجع نفسه*، ص ٤٨.**

(106) **D.W.Hamlyn, The Benguin *History of Western Philosophy*, Benguin Group, London, 1987 p.11.**

(١٠٧) **هانز جورج غادايمر: المرجع السابق، ص ١٠٥.**

(١٠٨) **د. مصطفى النشار: أرسطوطاليس، حياته وفلسفته، دار الثقافة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٦٣.**

ب- تأويل أرسطو لبعض الفلاسفة

استجاب أرسطو- كما يقول بحق عبد الرحمن بدوي- لروح الأرض حتى أنزل فيها روح السماء[١٠٩]. وكانت وسيلةُ أرسطو لتحقيق ذلك "**الروح الأرضي**" هو منهجه في التأويل. سنقصر بحثنا على تأويل أرسطو الفلاسفة الذين كان لديهم ميلٌ، بدرجة أو بأخرى، لدمج اللاهوت الأسطوري بالفلسفة، مثل فيثاغورس، واكسينوفانيس، وبارمينيديس، وإمبادوكليس، الأمر الذي دعا أرسطو إلى نزع الأسطورية في تأريخه لفلسفاتهم محاكمًا إياها لفلسفته الطبيعية المادية. وسوف نقتصر كذلك على إعطاء نماذج فقط لكل فيلسوف، ولن نتقصى ذلك التأريخ لأن موضوعنا هو التأويل لا تقصي التأريخ.

١- تأويل أرسطو لفلسفة فيثاغورس (Πυθαγορας نحو ٥٨٢-٥٠٠ قبل الميلاد)

لقد فُسرت الفلسفةُ على أنها تعني أساسًا أمرين: **المعرفة، وطريقة في الحياة**. وأحيانًا ما يتواجد هذان التفسيران للعالم معًا في وقت واحد[١١٠]. ومن هذين المنظورين نظر فيثاغورس (المتمرس بجميع الأسرار الدينية[١١١]) وأتباعه إلى الفلسفة. وفي ذلك كما ينظر **يامبليخوس (Iamblichus)**- راوي سيرة فيثاغورس- إلى نظريات فيثاغورس في النفس والحساب والموسيقى وغيرها من المجالات الأخرى[١١٢]. ولو حاولنا أن نقترب من فهم جوهر الفيثاغورية سنجد ذلك الفهم يتمثل في كونها ديانة؛ نبيها المبشر بها هو فيثاغورس الذي تلقى نظرياته وعقائده من كاهنة معبد دلفي **ثيموسطوقليا**[١١٣]. وجوهرها هو تخليص النفس ولقد لخص **فرفوريوس**- الأفلاطوني المحدث وراوي سيرة فيثاغورس- عقيدةَ النفس، بقوله: "إن فيثاغورس كان يقول بخلود النفس، وأنها تتحول إلى أشكال حية مختلفة، وأن الأحداث تتعاقب على سبيل الدور، فما من جديد

---

[١٠٩] عبد الرحمن بدوي: أرسطو، المرجع السابق، ص ط.

[110] Julian Marias, *history of philosophy*, translated from Spanish By Stanley Appelbaum and Clarence C.Strowbridge, Dover Publications, Inc, New York, 1967, p 1.

[١١١] ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، فقرة ٢١، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني، محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م ، ص ٢٦.

[112] Iamblichus :live of Pythagoras or Pythagoric life, chap IV,translated from the Greek by Thomas Taylor, J.M.Watkins, London,1818, , p 9.

[١١٣] ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، فقرة ٢، ص ١١.

تحت الشمس. وأخيرًا أن جميع الكائنات الحية يجب أن تعتبر أقرباء، ويضيف **فرفريوس** أن فيثاغورس أول من أدخل هذه المعتقدات إلى بلاد اليونان[١١٤]. فالنفس كان لها وجود سابق على البدن، ثم ارتكبت ذنبًا فعوقبت بهبوطها إلى سجن البدن حيث تظل مسجونة في هذا السجن وتظل تتناسخ بعد فناء بدن صاحبها آمادًا طويلة؛ ما لم تتطهر وتتخلص من عجلة الميلاد الكئيبة هذه، عن طريق الرياضيات والفلك والموسيقى والطب، لتضمن بعد ذلك عودتها إلى عالمها الإلهي السعيد الذي بدأت رحلتها منه وعليها أن تعود إليه في نهاية المطاف. لننظر الآن كيف أوَّل أرسطو فلسفة فيثاغورس، ليحتفظ بتفسير الفلسفة باعتبارها معرفة بالعالم؛ وليحذف المعنى الآخر لتفسير الفلسفة باعتبارها طريقةً للحياة.

اعترف أرسطو بغرابة الفلسفة الفيثاغورية قائلاً: "لقد استخدم الفيثاغوريون مبادئ وعناصر غريبة عن الفلاسفة الطبيعيين"[١١٥]. ومع ذلك يتناسى هذه الغرابة ويعيد تأويل الفلسفة الفيثاغورية تأويلاً طبيعيًا: "لقد كان الفيثاغوريون قد كرسوا أنفسهم للرياضيات، كما كانوا أول من دفعوا بهذه الدراسة إلى الأمام، ولما كانوا قد تقدموا بها فقد اعتقدوا أن مبادئها هي مبادئ الأشياء جميعًا، وما دامت أن مبادئ العدد هذه هي الأولى بالطبيعة. ولأنهم رأوا في الأعداد فيما يبدو الكثير من المتشابهات بين ما هو موجود وبين النار والتراب والماء، ومادامو قد وجدوا من ناحية أخرى أن خصائص ونسب السلم الموسيقي يمكن التعبير عنها بالأعداد، فقد بدت الأعداد على أنها أول الأشياء جميعًا، والسماء ككل هي سلم موسيقي وعدد. وجميع خواص الأعداد والسلم التي استطاعوا أن يبنوا اتفاقها مع صفات وأجزاء ونظام السماوات كلها، جمعوها وجعلوها تناسب خطتهم"[١١٦]. "فالأعداد هي علل جوهر الأشياء الأخرى. بل إن الأشياء نفسها أعداد[١١٧]. وفيما يخص العدد عشرة أيضًا يذكر أرسطو أن هناك مفكرين في المدرسة الفيثاغورية يقولون إن هناك عشرة مبادئ يرتبونها في عمودين ذوي طبيعة متشابهة: المحدود واللامحدود، الفردي والزوجي، الواحد والكثير، اليمين واليسار، الذكر

---

(114) Porphyrius, Vita Pythagorae,19, in G.S.Kirk & J.E.Raven, The Presocratic Philosohers, Cambridge At The University Press, 1957, p223. (وترجمة النص للدكتور ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤)

(١١٥) أرسطو: *الميتافيزيقا*، الكتاب الأول، مقالة الألفا الكبرى، فصل ٨ ، ٩٨٩ ب، ٣٠ .ص ٢٨٤.

(١١٦) المصدر نفسه، ١، ٥، ٩٨٥ ب، ٩٨٦ أ، ص ص ٢٦٧-٢٦٨.

(١١٧) المصدر نفسه، ١، ٦، ٩٨٧ ب، ص ص ٢٧٠-٢٧١.

والأنثى، الثابت والمتحرك، المستقيم والمنحني، النور والظلمة، الخير والشر، المربع والمستطيل[١١٨]. كما يذكر أرسطو- يضيفون الواحد إلى سلسلة الأعداد الفردية ٣،٥،٧،٩،الخ يتحصل دائما على الشكل بعينه وهو مربع، في حين أنه إذا أضيف إلى الوحدة سلسلة الأعداد الزوجية ٢،٤،٦،٨، الخ يتحصل دائما على شكل مخالف بل على أشكال تختلف إلى اللانهاية[١١٩].أما عن النفس- جوهر الفلسفة الفيثاغورية- فلا ذكر لها بالمعنى الفيثاغوري، إذ يكتفي أرسطو بنقد بعض آراء الفيثاغوريين[١٢٠] في النفس تمهيدًا لتأكيد مذهبه الخاص فيها. لقد حذف أرسطو كل ما يتعلق بالوجود السابق للنفس، أو خلودها وذلك في كتابه "**النفس**".

هكذا نجد أرسطو قد حذف- تقريبًا- كلَ الفلسفة الدينية والأسطورية لفيثاغورس مؤولاً الفلسفة الفيثاغورية تأويلاً ماديًا خالصًا، يخلو من كل "**الرموز السرية συμβολα" الفيثاغورية**[١٢١]. إن فيثاغورس- حسب التأويل الأرسطي- لا يخرج عن كونه أحد الفزيولوجيين (φυσιολόγαι)، التسمية التي أطلقها أرسطو على كل الفلاسفة السابقين على سقراط أي أولئك الذين بحثوا في الطبيعة(φύσις)[١٢٢]. أما أفلاطون (الذي حصل على كتب الفيثاغورية السرية والتي ظلت- هذه السرية- أمراً يبعث على الدهشة كما يقول **يامبليخوس**- لأجيالٍ عديدة، قبل أن يأتي **فيلولاوس** (Philolaus) الفيثاغوري ليخرق هذه السرية بنشره ثلاثة كتب مشهورة كان أفلاطون قد طلب من **ديون** (Dion) حاكم **سيراقوسة** أن يشتريها له مقابل مائة **ميناي** (Menae) [١٢٣]) فقد أبقى على كل ما اعتبره أرسطو من الأساطير(وقد قام أرسطو بحذفها!)، مثل أن الفيثاغورية جماعة دينية [١٢٤]. وأن العالم الإلهي السعيد هو ذلك الذي جاءت منه النفس إلى هذا العالم الأرضي، وضرورة الهروب من العالم الثاني إلى العالم

---

[١١٨] **المصدر نفسه، ١، ٥، ٩٨٦ أ، ٢٠-٢٥ص ٢٦٨.**

[١١٩] **أرسطو: علم الطبيعة، الجزء الأول، ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية بارتلمي سانتهلير، نقله إلي العربية أحمد لطفي السيد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م ك ٣، ب ٤، ص ص ١٦١-١٦٢.**

[١٢٠] **أرسطو: *كتاب النفس*، الكتاب الأول، فصل ٢ ، ٤٠٤ و ١٠-١٥، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة: الأب جورج شحاتة قنواتي، تصدير ودراسة: مصطفى النشار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م.ص ١٠**

[١٢١] **ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، فقرة ١٧، المجلد الثالث، ، ص ٢٣.**

[122] Julian Marias, *history of philosophy*, , p ١٢.

[123] Iamblichus, Vita Pythagorae,267,p 221.

[١٢٤] **أفلاطون: الجمهورية، ترجمة د. فؤاد زكريا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، الكتاب العشر، ٦٠٠ أ، ص ٥٥٥.**

الأول[١٢٥]. وأن النفس هى سجن البدن[١٢٦] وأن النفس قد ارتكبت ذنبًا ونالت عقوبة هبوطها إلى البدن، وتظل فيه حتى تتم العقوبة[١٢٧]. كذلك يؤيد أفلاطون الفيثاغوريين في قولهم: إننا الآن موتى! [١٢٨] . ولقد أوَّل أرسطو فيثاغورس تأويلاً هدفه **إعادة الفلسفة من السماء إلى الأرض،** وكذلك سيفعل مع بارمينيديس وإمبادوكليس عن طريق منهجه في حذف الأسطورية. ولكنه، قبل ذلك، قام بحذف فيلسوف بأكمله من قائمة الفلاسفة! هو اكسينوفانيس:

٢- تأويل أرسطو لفلسفة اكسينوفانيس(Χενοφανες نحو ٥٧٠-٤٧٨ قبل الميلاد)

إذا طالعنا رأي أرسطو- وقد تابعه معظمُ المؤرخين كالعادة!- فإننا نجده في كتابه "الميتافيزيقا" يتحدث عن فلاسفة مدرسة إليا (Elea) ونظرتهم إلي الوجود ووَحْدة الكون، ويخص بالذكر منهم **اكسينوفانيس،** وبارمينيدس ، وميلسيوس- ويقول: "يبدو أن **بارمينيديس** تشبث بالقول بأن الكون واحد في شكله أو صيغته، بينما أكد **ميليسوس** أنه واحد من حيث المادة. ولهذا السبب قال الأول إنه محدود، بينما ذهب الثاني إلى أنه غير محدود". وحين يتحدث عن **اكسينوفانيس** يقول:"لم يعطنا عبارة واضحة، كما أنه لم يدرك فيما يبدو هذين النوعين من الوَحْدة، لكنه تأمل السماء ككل ثم قال **الواحد هو الإله**". ويخلص من ذلك إلي القول:" إن هؤلاء المفكرين ينبغي إهمالهم أو التغاضي عنهم **بالنسبة لأغراض بحثنا الحالي، فنتغاضى عن اثنين منهم**

---

[١٢٥] أفلاطون: ثياتيتوس، محاورات ونصوص لأفلاطون، فايدروس، ثياتيتوس، ترجمة وتقديم: د.أميرة حلمي مطر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م، فقرة ٧٦ ب، ص ٢٢٦.

[١٢٦] أفلاطون، فيدون، فقرة ٦٢، ب، ترجمة زكي نجيب محمود، المصدر السابق، ص ١٢٠، وأيضًا ترجمة د. عزت قرني، فيدون، المصدر السابق، ص ١٥٠.

[١٢٧] أفلاطون: كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية الدكتور عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ١٩٩٥، فقرة ٤٠٠، ب، ج، ص ص١٢٣- ١٢٤.

[١٢٨] أفلاطون: جورجياس، ترجمها عن الفرنسة محمد حسن ظاظا، راجعها الدكتور على سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠م، فقرة ٤٩٣ أ،ب ، ص ص ١٠١-١٠٢.

بسبب سذاجتهم التي لا حد لها، وأعني بهما **اكسينوفانيس وميليسوس**، أما **بارمينيديس** فيبدو أنه كان يتكلم ببصيرة أكثر منهما"[١٢٩].

هكذا بسّط أرسطو أفكارَ اكسينوفانيس حول وَحدْة الوجود والتوحيد إلي درجة التسطيح، وعدَّه مفكرًا مشوشًا ساذجًا لا يتفق: "**بالنسبة لأغراض بحثنا الحالي**"؛ ووصل الأمر إلي حد تجاهله نهائيًا وإسقاطه من اعتباره للأسباب التي ذكرها.

لقد أستمر تأثير أرسطو إلى عصرنا الحالي فنجد **جادامير** يتبنى رأي أرسطو بل ويزيد علي أرسطو فيرفض حتى أن يعتبر اكسينوفانيس لاهوتياً كذلك فيقول عنه: إننا لا يجب أن نرى في اكسينوفانيس لاهوتيًا، أو فيلسوفًا، بل **مجرد راوٍ للملاحم**[١٣٠]**!**

إن هذا التقييم من قبل أرسطو لاكسينوفانيس يتسق مع شخصية أرسطو– كما نعرفها من أعماله ومؤلفاته– فهو عالم يؤمن بالبراهين والأدلة المادية والتجريبية، ولا يقيم وزنًا لرؤية روحية عقلية منطقية للكون. وهنا قد نتساءل: هل كان هذا الموقف المضاد من اكسينوفانيس قائمًا على الاختلاف العلمي حول رؤيته من الكون والطبيعة فقط؟ أم أن موقفه اللاهوتي من موضوع التوحيد كان أمراً غريبًا كل الغرابة في بيئته فصدم معاصريه ولاحقيه ودعاهم إلي نبذه ورفض أفكاره واتهامه بالسذاجة والتشوش؟ أغلب الظن أن هذا الموقف الأخير قد أسهم كثيرًا في هذا الرفض له، والتعتيم على أفكاره، ولكن يكفي اكسينوفانيس شرفُ الريادةِ بين الإغريق في إعمال عقله ووجدانه حول الخالق الأوحد والأعظم، حتى وإن اصطدمت دعوته بآذان صماء وأفكار مناوئة، حاولت التعتيم عليه وعلى أفكاره، وإسقاطه في غياهب النسيان[١٣١]. وهكذا لم يكتف أرسطو بحذف نصوص مؤسس المدرسة الإيلية (حسب رأي أرسطو نفسه!)، بل تقدم درجةً فحذف اكسينوفانيس ذاته من سجل الفلاسفة! أما أرسطو الذي استبعد اكسينوفانيس فسوف يقلده في أحد أهم صفة من صفات إلهه، ألا وهى الثبات؛ حيث وصف أرسطو إلهه بأنه الثابت: أي المحرك الذي لا يتحرك!

---

(١٢٩) أرسطو: *الميتافيزيقا*، المصدر السابق، الكتاب الأول، فصل ٥ ، ٩٨٦ ب، ٢٠-٣٠ .ص ٢٧٨

(١٣٠) هانز جورج غادامير: *بداية الفلسفة*، ص ٤٨.

(١٣١) د.محمد عبد الغني السيد: التوحيد في الفكر اليوناني القديم، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، الكتاب السنوي الرابع، القاهرة،٩٩ – ٢٠٠٠م، ص ١٦١.

ومع أن اكسينوفانيس هو– بحسب رأي أرسطو– أستاذ بارمينيديس، وأول مدرسة **الواحديين Monists**[١٣٢]. إلا أن أرسطو كان معجبًا بالتلميذ على حساب أستاذه، ولم يخف أرسطو إعجابه بعمق تفكير بارمينيديس، فهل نجتْ فلسفةْ بارمينيديس من حذف نصوص مهمة منها... قام بها منهجُ أرسطو التأويلي؟

٣– تأويل أرسطو لفلسفة بارمينيديس (Παρμενιδης ذاعت شهرته ٤٨٥ ق.م تقريبًا)

تتمثل فلسفةُ بارمينيديس في الشذرات المتبقية من قصيدته **(في الطبيعة،** περὶ φύσεως**)**. ويمكن إجمالُ رأي أرسطو في بارمينيديس بقوله:"يبدو أن بارمينيديس تشبث بالقول **بأن الكون واحد في شكله أو صيغته** (بمعنى وحدة الوجود الصورية) [١٣٣]. إن جوهر فلسفة بارمينيديس تكمن في إنكار الحركة في حين أن التجربة تثبت أن التغير موجود ويجب أن يكون ذلك أساسيًا بالنسبة إلى جوهر فلسفة أرسطو[١٣٤]. وقد أبدى أرسطو دهشته من رأي بارمينيديس ومدرسته في كتابه "**الكون والفساد**" بقوله: "بالصدور عن هذه النظريات وبمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها بحجة أنه ينبغي إتباع العقل فقط، انتهى بعضُ الفلاسفة إلى التصديق بأن العالم واحد غير متحرك وغير متناهٍ"[١٣٥]. إن أرسطو يرفض أن يكون الكل (τό πᾶν) واحداً (ἕν) لأن أشياءً كثيرةً ومتنوعةً موجودةٌ، ولا يمكن أن يُقال أنها واحدة لمجرد اشتراكها في صفة الوجود الواحدة. إن رأي بارمينيديس عبارة عن إنكار للعلم الطبيعي[١٣٦]. إن الفكر الأرسطي يسجل عودة حاسمة إلى الحسي أو على الأقل إلى أشياء الأرض[١٣٧]. وعلى ذلك رأى أرسطو في كتابه "**الطبيعة**" أن أدلة بارمينيديس وتلاميذه ليست إلا "خداعًا"و "ها هو العيب الذي يظهر في آراء بارمينيديس التي لا تتكئ إلا

---

[١٣٢] **أرسطو: الميتافيزيقا، الكتاب الأول، مقالة الألفا الكبرى، ف ٥، ٩٨٦ ب ٢٢، ص ٢٧٠.**

[١٣٣] **جان بيير ديمون: الفلسفة القديمة، ترجمة ديمتري سعادة، المنشورات العربية، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٧٥.**

[134] ***W. D. Ross: Aristotle,*** ٦٦ .

[١٣٥] **أرسطوطاليس: *الكون والفساد*، ك ١، ب٨، ف٣،يتلوه كتاب "ميلسوس وفي أكسينوفان وفي غرغياس، ترجمها من الإغريقية إلى الفرنسية وصدرها بمقدمة في تاريخ الفلسفة الإغريقية وعلق عليها تعليقات متتابعة بارتلمي سانتهلير ونقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٧٧.**

[١٣٦] **د. مجدي كيلاني: أرسطو، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص ٨٨.**

[١٣٧] **أرسطو: *الميتافيزيقا*، الكتاب الأول، ٩٨٩ أ ٢٠ ص ٢٨٢.**

على مقدمات كاذبة بل لا تنتج نتائج مترتبة". وينتهي أرسطو إلى القول: "أما نحن فإنما نضع مبدأً لا يحتمل الجدال: أن في الطبيعة حركةً إما في جميع الأشياء وإما بالأقل في بعضها. وهذا واقع أساسي تعلمنا إياه المشاهدةُ الحسيةُ والاستقراءُ المتدبرُ "[١٣٨].

أما عن منهج الحذف الذي أتبعه أرسطو تجاه فلسفة بارمينيديس فقد تمثل في حذف أرسطو للمقدمة الميثولوجية الثيولوجية، التي بدأ بها بارمينيديس قصيدته الشهيرة "في الطبيعة". وكذلك حذف كل ما يتعلق بإلهة بارمينيديس ومرشدته (التي ذهب إليها في رحلة مجنحة، بعربة أسطورية، إلى عالم السماوات العلا!) إلى التفريق بين عالم الحقيقة وعالم الظن، عالم الوجود وعالم اللاوجود. :"قادتني الأفراس (العربة) التي كانت تحملني بعيدًا إلى حيث هفا قلبي، وأوقفتني (الآلهة) عند ذلك الطريق (ὁδός) المشهور (طريق الآلهة) الذي يهدي الحكيم العارف بسائر المدن. وأسرعت بي الأفراس الحكيمة تجر عربتي في ذلك الطريق والعذارى (والعرائس) ترشد إليه، وتطاير الشرر من الرحى في تجويف العجلة، وصرَّت صريرًا كأنه الزمر (لأن عجلتين دائرتين على كلا الجانبين كانتا تدفعانها) ثم ضاعفت العذارى بنات الشمس (Helios) من سرعتي، وكشفن بأيديهن النقاب عن رءوسهن (وجوههن)، ليحملنني إلى النور، وقد خرجن من مسكن (قصر) الليل، إلى حيث كانت بوابات طريقي الليل والنهار، وقد سدت بعوارض من فوق، وعتبة من حجر من تحت، وأغلقت البوابات الذاهبة في الهواء بأبواب عظيمة، واحتفظت العدالة (Dike) ذات العقاب (الانتقام) الشديد في يديها بمفاتيحها. وخاطبتها العذارى بألفاظ عذاب يغرينها بإنزال العوارض عن البوابات بغير إبطاء فلما انفتحت الأبواب كشفت عن فضاء واسع، ثم عادت مساميرها البرونزية إلى مواضعها. وفي هذا الطريق المستقيم اتجهت العذارى يقدن العربة والأفراس، حيث استقبلتني الإلهة بترحاب"[١٣٩].

وقد حذف أرسطو كذلك– بالإضافة إلى المقدمة– كل ما ورد في قصيدة بارمينيديس من ذكر للآلهة ومن ذلك على سبيل المثال: "وأول ما أبدعت من **الآلهة** هو الحب (Eros)" [١٤٠]."لقد امتلأت الحلقات الأضيق

---

[١٣٨] **أرسطوطاليس: *علم الطبيعة*، الجزء الأول، ك ١، ب٢، ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية وصدره بمقدمة في تطور علم الطبيعة وبتفسير علق علي النص تعليقات متتابعة بارتلمي سانتهلير ونقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٩٧.**

[١٣٩] **بارمنيدس: *في الطبيعة*، شذرة ١، ترجم هذه الشذرات إلى العربية، أحمد فؤاد الأهواني، ضمن كتابه، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٢٩.**

[١٤٠] **بارمنيدس: *في الطبيعة*، شذرة ١٣، ص ١٣٤.**

بالنار غير الممتزجة، وما يليها من حلقات بالليل، ويندفع من بينها أجزاء من اللهب (أي النار). **وفي وسطها توجد الإلهة** التي تدبر جميع الأشياء، ذلك لأنها أصل كل نسل وتناسل، فهي التي تسوق الأنثى للائتلاف مع الذكر، وتدفع الذكر إلى الصلة بالأنثى"[١٤١]. **لقد جمع بارمينيديس بين الميثوس(μύθος-Muthos) واللوجوس(λόγος-Logos)؛ فأبقي أرسطو على اللوجوس بعد تأويله وقد قام بحذف الميثوس**؛ تمامًا كما حذف من قبل فلسفة اكسينوفانيس- أستاذ بارمينيديس- عن الإله الحق والتفرقة بينه وبين الآلهة الزائفة.

٤- تأويل أرسطو لفلسفة إمبادوكليس ((Εμπεδοκλης ٤٨٤-٤٢٤ ق.م. تقريبًا))

إن إمبادوكليس- حسب رأى أرسطو الذي شاع في التاريخ - هو أول من تحدث عن العناصر المادية **الأربعة:**"إمبادوكليس الذي قال إن مادة الأشياء أربعة أجسام"[١٤٢]"، مضيفًا عنصرًا رابعًا هو التراب (الأرض) للعناصر الثلاثة التي سبق ذكرها (الماء والنار والهواء) [١٤٣]. "وتحدث أمبادوكلبس عن النار، والتراب، والماء والهواء"[١٤٤]. باعتبارها الجوهر أو المبدأ أو العلة الأولى أي عنصرُ الأشياءِ ومبدؤها. يقول أرسطو في معرض حديثه عن الذين يسلمون بأن المادة تتألف من أكثر من عنصر:" كذلك قال إمبادوكليس إن عناصر الأجسام كانت أربعة وإنه بإضافة العنصرين المحركين(**"فيليا" و"نيكوس"φιλια και νεικος**) أو **"المحبة" و"الكراهية"**) يكون المجموع **ستة** عناصر"[١٤٥]. ومع ذلك فإمبادوكليس لم يستخدم- كما يقول أرسطو أيضًا!- كلمةَ "**أربعة**"، ولكنه عالجها كما لو كانت "**علتين فقط**". فقد عالج النار بذاتها، أو أضدادها الأرض أو التراب، والهواء والماء، كنوع واحد من الأشياء، وفي استطاعتنا- كما يقول أرسطو- أن ندرس

---

(١٤١) **المصدر نفسه، شذرة ١٢، ص ١٣٤.**

(١٤٢) **أرسطو: *الميتافيزيقا*، الكتاب الأول، ٩٨٩ أ ٢٠ ص ٢٨٢.**

(١٤٣) **المصدر نفسه، الكتاب الأول،٩٨٤ أ ٥ صر.٢٧٢.**

(١٤٤) **المصدر نفسه، الكتاب الأول،٩٨٨ أ ٢٥-٣٠ ص ٢٨٠ .**

(١٤٥) **أرسطو: *الكون والفساد*، الكتاب الأول، المصدر السابق، باب١، فصل ٣، ص ١٠٩.**

ذلك من القصيدة التي تركها[١٤٦]. يشير أرسطو إلى قصيدة إمبادوكليس (**في الطبيعة** περί φύσεως)، ولا يشير أي إشارة إلى قصيدة إمبادوكليس التي لا تقل أهمية عن قصيدة في الطبيعة لفهم فلسفة إمبادوكليس أعنى قصيدته المعنونة بـ (**التطهير**καθαρμοι).

إن أرسطو لم يتركنا نخمن ما فعله منهجه التأويلي بفلسفة إمبادوكليس؛ فها هو ذا يصرح بأنه قام بتأويله تأويلاً ماديًا يتفق ومزاج أرسطو العلمي، (لا مزاج إمبادوكليس اللاهوتي الأسطوري) يقول أرسطو: "تابعنا وجهة نظر إمبادوكليس، و"**فسرناها**" طبقا "**لمعانيها**" وليس طبقا "**لتعبيرها الصبياني!**" [١٤٧].

وهذه بعض نماذج من "الصبيانية" التي قام أرسطو بحذفها من قصيدة في الطبيعة لإمبادوكليس، حتى لا يبقى في النهاية سوى العناصر الأربعة المادية. يخاطب إمبادوكليس– في قصيدة الطبيعة– آلهته قائلاً: "أيتها الآلهة، أبعدي عن لساني حماقة هؤلاء الناس، وألهمي شفتي القدسيتين أن تنطقا في صفاء وتدفق. وأنت يا ربة الشعر المعشوقة يا بيضاءَ الذراعين، أتوسل إليك أن تلهميني سماعَ ما يأذن به القدر (= القانون الإلهي) بسماعه لأبناء النهار، مبعدة عربتي المطهمة عن العالم المقدس"، "ولا تدعي باقات المجد والإجلال التي يقدمها البشر تحملك على الأخذ بأيديهم ورفعهم من الأرض، فتنطقين بما لا يسمح به القانون الإلهي، ويتربعون بذلك على عرش الحكمة"[١٤٨].– "ولتسمع أولاً الأصول الأربعة للأشياء: زيوس (Zeus) الساطع، وهيرا (Hera) حاملة الحياة، وإيدونيوس (Aidoneus)، ونستيس (Nestis)، التي فاضت دموعها فتكونت ينابيع الرطوبة للمخلوقات"[١٤٩]. – "وتلقت الأرض الطيبة في فجواتها العريضة جزأين من ثمانية أجزاء من نستيس (Nestis) الساطعة، وأربعة من هفايستوس(Hephaistos)، فتولدت العظام البيضاء التي امتزجت برابطة الائتلاف(Harmonia) الإلهية"[١٥٠].– "وبعد أن ألقت الأرض مرساها على شاطئ أفروديتي (الحب) اتصلت بهذه الأشياء بنسب متساوية: بهفايستوس، والماء، والأثير اللامع، وقد تزيد نسبة الأرض فيها أو

---

[١٤٦] أرسطو: *الميتافيزيقا*، المصدر السابق، الكتاب الأول، فصل ٣ ، ٩٨٥ أو أ ٣٠، ص ٢٦٧.

[١٤٧] المصدر نفسه، الكتاب الأول، فصل ٤ ، ٩٨٥ أ ٥–١٠. ص ٢٧٤

[١٤٨] إمبادوكليس: *في الطبيعة*، شذرة (٤)، ترجم هذه الشذرات إلى العربية، أحمد فؤاد الأهواني، ضمن كتابه، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م ص ١٦٥.

[١٤٩] إمبادوكليس: *في الطبيعة*، شذرة (٦)، ص ١٦٦.

[١٥٠] المصدر نفسه، شذرة (٩٦)، ص ١٧٥.

تنقص. ونشأ عن هذه الأشياء الدم وصور اللحم الأخرى"[١٥١]- "وتجلب إيريس (Iris) (رسول الآلهة) من البحر رياحًا أو زوبعة مطيرة"[١٥٢].

لقد صرح أرسطو تصريحًا بأنه "**حذف**" كل الجوانب الأسطورية والدينية في فلسفة إمبادوكليس مستخلصًا مذهبًا يتفق وميوله المادية والعلمية: "كذلك لأننا تابعنا وجهة نظر إمبادوكليس وفسرناها طبقًا لمعانيها وليس طبقًا لتعبيرها الصبياني!". إن ميزة أرسطو على أفلاطون إنما هى ميزة الواقع على الأحلام، والحقيقة على الخيال[١٥٣].

من كل ما سبق نستنتج النتيجة الآتية: ما من فكرة دينية أو أسطورية عند أي فيلسوف من الفلاسفة إلا ويبادر أرسطو بحذفها ثم يقوم بتأويل ما تبقى من أفكار تأويلاً يتفق وفلسفته هو ولا يمت إلى فلسفة الفلاسفة السابقين عليه والذي يقوم بتأويلهم إلا من طرفٍ ليس قريبًا. هذا بإجمال ما أسميناه "**منهج حذف الأسطورية عند أرسطو**". والنماذج التي قدمتُها هنا هى مجرد نماذج يمكن التوسع فيها لاحقًا. ومع هذا، وإذا ما أنقصنا من تقديرنا لأرسطو كل ما فيه من عيوب، فإنه يبقى بعدها- كما يقول **ول ديورانت** بحق- "سيدَ العارفين"[١٥٤]. ويبقى الفيلسوف الأعظم بين كل فلاسفة اليونان القديمة [١٥٥]. وحسب أرسطو أنه أسس فلسفة من أهم فلسفات عصرنا الآن هى الهرمنيوطيقا. ولقد حاول الباحث مجرد الاقتراب من بيان مفهومها وقواعدها عنده. وفي كل الأحوال يبقى السؤالُ عن مدى أحقية ذلك التأويل الأرسطي، وكذلك عن مدي درجة الاعتماد على هذا التأويل التأريخي، أقول يبقى السؤالُ، عن كل ذلك، قائمًا بقوة.

---

[١٥١] المصدر نفسه، شذرة (٩٨)، ص ١٧٥.

[١٥٢] المصدر نفسه، شذرة (٥٠)، ص ١٧٢.

[١٥٣] د. محمد عبد الرحمن مرحبا: *مع الفلسفة اليونانية*، الطبعة الثانية، منشورات عويدات، بيروت-باريس،١٩٨٠م، ص ٢١٦.

[١٥٤] ول ديورانت: *قصة الحضارة*، حياة اليونان، المجلد الرابع، كتاب ٧، ترجمة: محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٥١٥.

[155] A.S.Bogomolov, *History of Ancient Philosophy,p.*٢٠٧.

نتائج البحث

يمكن إجمال أهم نتائج البحث في النقاط الآتية:

أولاً: حاول الباحث أن يبرز دور أرسطو في الهرمنيوطيقا سواء بمعناها التقليدي **(التأويل بوصفه تفسيرًا)** أم الحديث **(التأويل بوصفه حذفًا للأسطورية وكشفًا للزيف).**

ثانيًا: حدد البحث **الآليات الأساس الأربعة للمنهج الهرمنيوطيقي** عند أرسطو، مستخلصًا إياها من استقراء نصوصه. وهذه الآليات هي: **الفهم المُسْبَق للنص، إغفال سياق النص (المسافة الزمنية)، الاختصار والإيجاز والحذف، إعادة صياغة النص.**

ثالثًا: بين البحث كيف انتزع أرسطو "**الرسالة الفلسفية**" من نصوص الفلاسفة السابقين عليه والتي كانت ممتزجةً امتزاجاً باللاهوت والأسطورة، عن طريق منهجه في نزع الأسطورية.

رابعًا: أظهر البحث كيف أغفل أرسطو "**السياق الديني الأسطوري**"، الذي أنتجَ نصوصَ الفلاسفة السابقين عليه.

خامسًا: يرى الباحث ضرورة الحذر من اتخاذ "**تأويلات أرسطو**" باعتبارها تأريخًا خالصًا للفلاسفة السابقين عليه؛ خاصةً الفلاسفة الذين اتخذهم البحثُ نماذجَ لمنهج أرسطو في حذف الأسطورية وهم: **فيثاغورث، واكسينوفانيس وبارمينيديس، وإمبادوكليس؛** حيث أن تأويل أرسطو للسابقين عليه، قد اتخذ "**مظهره**" شكل "**التأريخ**"، في حين أن "**جوهره**" يكمن في "**التأويل**".

سادسًا: يرى الباحث ضرورة الحذر من إضفاء "**معقولية**"، ناتجة عن التأويل، علي هؤلاء الفلاسفة، بنزع "الأسطورية" عنهم، والتي قد تكون أحد الأسس المهمة في تكوين فلسفاتهم، وفهمها على ماهى عليه، دون تأويلٍ أو تقَوُّلٍ على النصوص.

المصادر والمراجع

أولاً– المصادر:

١– المصادر المترجمة إلي اللغة العربية:

١– أرسطو: "في الفلسفة"، ترجمة، مها أحمد السيد الشناوي، ضمن كتابها: محاورات أرسطو وأصولها الأفلاطونية، الطبعة الأولى، تقديم: محمد فتحي عبد الله، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.

٢– أرسطو: العبارة، نقل إسحق بن حنين، ضمن منطق أرسطو، الجزء الأول، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.

٣– أرسطو: الميتافيزيقا، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، ضمن كتابه: مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٤م.

٤– أرسطوطاليس: *الكون والفساد*، ،يتلوه كتاب "ميلسوس وفي أكسينوفان وفي غرغياس، ترجمها من الإغريقية إلى الفرنسية وصدرها بمقدمة في تاريخ الفلسفة الإغريقية وعلق عليها تعليقات متتابعة بارتلمي سانتهلير ونقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٥– أرسطوطاليس: *علم الطبيعة*، الجزء الأول، ك ١، ب٢، ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية وصدره بمقدمة في تطور علم الطبيعة وبتفسير علق علي النص تعليقات متتابعة بارتلمي سانتهلير ونقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٦– أفلاطون: الجمهورية، ترجمة د. فؤاد زكريا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.

٧– أفلاطون: ثياتيتوس، محاورات ونصوص لأفلاطون، فايدروس، ثياتيتوس، ترجمة وتقديم: د.أميرة حلمي مطر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.

٨– أفلاطون: جورجياس، ترجمها عن الفرنسة محمد حسن ظاظا، راجعها الدكتور على سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠م.

٩- أفلاطون: كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية الدكتور عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ١٩٩٥

١٠-أفلاطون: فيدون، محاورات أفلاطون، عربها عن الإنجليزية د. زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

١١-إمبادوكليس: في الطبيعة، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني: ضمن كتابه: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

١٢-بارمينيديس: في الطبيعة، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني: ضمن كتابه: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

١٣-بيكون(فرانسيس): الأورجانون الجديد، إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، ترجمة د. عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣م.

١٤-ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الأول، ترجمة وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني، محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٥-ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني، محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.

٢- المصادر المترجمة إلى اللغة الإنجليزية:

1- Iamblichus: live of Pythagoras or Pythagoric life , translated from the Greek by Thomas Taylor, J.M.Watkins, London,1818.

2- Porphyry: The Life of Pythagoras, in K.S. Guthrie, Pythagorean Source Book and Library, Phanes Press,1987.

ثانيًا- المراجع

١- المراجع العربية والمترجمة إليها:

١- الأهواني(د. أحمد فؤاد): فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٩م.

٢- بدوي(د. عبد الرحمن): أرسطو، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م

٣- برهييه(إميل): تاريخ الفلسفة، الجزء الأول، الفلسفة اليونانية، الطبعة الثانية، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

٤- تايلور(ألفرد إدوارد): أرسطو،الطبعة الأولى، ترجمة عزت قرني، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٢م.

٥- جادامير(هانز جورج): *الحقيقة والمنهج(الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية)*، ترجمة، د.حسن ناظم وعلى حاكم صالح ، راجعة عن الألمانية د. جورج كتوره، دار أويا، طرابلس،ليبيا، ٢٠٠٧م.

٦- جادامير(هانز جورج): بداية الفلسفة ، ترجمة على حاكم صالح و حسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٢م.

٧- جثري(و.ك.س.): *الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو*، ترجمة وتقديم: رأفت حليم سيف، مراجعة، إمام عبد الفتاح إمام، مطبعة الطليعة، بيروت، ١٩٨٨م.

٨- جيجن(أولف): المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، ترجمة، عزت قرني، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، بدون تاريخ.

٩- ديفانبيه(بيير) وآخرون: معجم الحضارة اليونانية القديمة، الجزء الأول، ترجمة وتقديم: أحمد عبد الباسط حسن، مراجعة: فايز يوسف محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م.

١٠- ديورانت(ول): *قصة الحضارة*، حياة اليونان، المجلد الرابع، كتاب ٧، ترجمة: محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

١١- ديورانت(ول): قصة الفلسفة، الطبعة الثالثة، ترجمة الدكتور فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٥م.

١٢- راسل(برتراند): تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، راجعه د.أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

١٣- ريكور(بول): صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، ترجمة د. منذر عياشي، مراجعة د. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٥ م.

١٤- سارتون(جورج): تاريخ العلم، الجزء الثالث، ترجمة: لفيف من العلماء بإشراف إبراهيم بيومي مدكور، دار المعارف، القاهرة،١٩٩١ م.

١٥- ستيس(وولتر): تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٦- السيد(د.محمد عبد الغني): التوحيد في الفكر اليوناني القديم، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، الكتاب السنوي الرابع، القاهرة،٩٩ – ٢٠٠٠م.

١٧- عبد الله (د. محمد فتحي): *مترجمو وشراح أرسطو عبر العصور، دار الوفاء لدنيا الطباعة*، ٢٠٠٠م.

١٨- فارنتن(بنيامين): العلم الإغريقي، الجزء الأول، ترجمة: أحمد شكري سالم، مراجعة: حسين كامل أبو الليف، مكتبة التهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.

١٩- فخري(د. ماجد): أرسطو، المعلم الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٧٧م.

٢٠- قاسم(د.على حسين): ملحد في المذبح الأقدس، دراسة في فلسفة الدين واللاهوت عند رودلف بولتمان، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.

٢١- كوبلستون(فردريك): تاريخ الفلسفة، المجلد الأول، اليونان وروما، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٢- كيلاني(د. مجدي): أرسطو، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، ٢٠٠٩م.

٢٣- لالاند(أندريه): موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني، الطبعة الثانية، تعريب خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت–باريس ٢٠٠١م.

٢٤- مصطفى(عادل): فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادمر، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢٥- مرحبا(د. محمد عبد الرحمن): *مع الفلسفة اليونانية*، الطبعة الثانية، منشورات عويدات، بيروت– باريس،١٩٨٠م

٢٦- مطر(د. أميرة حلمي): الفلسفة عند اليونان، الجزء الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢٧- النشار(د. مصطفى): أرسطوطاليس، حياته وفلسفته، الطبعة الأولى،دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٨- وهبة (د.مراد): المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢- مراجع باللغة الإنجليزية:

1. Barnes(Jonathan): *Aristotle, Avery Short Introducton*, Oxford University Press, New York, 2000.

2. Bogomolov (A.S.): History of Ancient Philosophy, Greece and Rome, trans by: V. Stankerich, Progress Publishers, Moscow, 1985.
3. Burnet (J.) : Early Greek Philosophy, 4 th ed, Adam & Charles-Black, London, 1975.
4. Chroust (A. H.): *Aristotle, New Light on his life and some of his lost works, Vol II, Observations on some of Aristotles Lost works*, Routledge & Kegan Paul, London, 1973.
5. Cornford (F.M.): Before And After Socrates, Cambridge University Press, Cambridge, New York, ,1990,
6. Cornford (F.M.): From Religion To Philosophy, Princenton University press, Princenton, 1991.
7. DE Vogel(C.J.): Greek History, A collection of Text, Vol II, Aristotle, The Early Peripatetic School And The Early Academy, The Netherlands Organization, Leiden ,1953.
8. Freeman (K.): The Pre-Socratic philosophers, 2nd ed. Basil Black Well Oxford, 1959.
9. Guthrie (W. K. C.): A History of Greek Philosophy.Vol. VI ,*Aristotle, An Encounter*, Cambridge Universty Press, New York, 1990.
10. Hamlyn(D.W.): *The Penguin History of Western Philosophy*, Penguin Group , London, 1956.
11. Jeager (W.): Aristotle, Fundamentals of the History of His Development, trans with the authors corrections and additions by, Richard Robinson, second edition, Oxford at the Clarendon Press,1986
12. Jeager (W.): *The Theology of The Early Greek Philosophers*, At Clarendon Press, Oxford, London. 1948.
13. Kirk (G.S.) & Raven (J.E.), The Presocratic Philosohers, Cambridge At The University Press, 1957.
14. Lacey(A.R.): *A Dictionary of Philosophy*, Routledge & Kegan Paul, New York, 1990.
15. Marias (J.): history of philosophy, translated from Spanish By Stanley Appelbaum and Clarence C.Strowbridge, Dover Publications, Inc, New York, 1967.
16. *Ross (W. D.): Aristotle, with an introduction by John L. Ackrill, Sixth Edition, Routledg, London, & New Yourk,1995.*

17. Zeller (E.): Outlines of The History of Greek Philosophy, Trans by:- LR. Plamer, Dover Publications Inc, New York, 13th Ed,1980.